

لجنة البيان العربي
مؤسسة عربية للثقافة والفنون

محمد علي علوية

فلسطين وجاراتها أسباب ونتائج

مطبعة لجنة البيان العربي
بالقاهرة



المكتبة

محمد علي علوبة

فلسطين وجاراتها أسباب ونتائج

[أهدى المؤلف حق التأليف في الطبعة
الأولى إلى الاتحاد العربي بالقاهرة]

الطبعة الأولى

سنة ١٩٥٤

مكتبة الطباعة والنشر
للجريدة الجريدة

إهداء الكتاب

إلى أرواح شهدائنا الذين رووا بدمائهم ثرى فلسطين .
وإلى الذين أودوا في حرياتهم أو أجسامهم أو أموالهم .
أقدم كلماتي تقديراً للبطولة والتضحيات، وتذكيراً بمأساة لم تنته قصورها .
وعلى العرب أن يتخذوا سبيلهم في هذا الكفاح . وأن يعلموا أن
مصيرهم بأيديهم . فإما بقاء وإما فناء .

وفي الماضي عظات وعبر . فهل آن لنا أن نعتبر ؟
« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

محمد علي عابدة

ربيع الآخر سنة ١٣٧٤

ديسمبر سنة ١٩٥٤

مقدمة

لّى فلسطين صلات لا تنفصم عراها . فقد كانت وما تزال عزيزة علىّ وعلىّ غيرى ، بحكم العروبة والجوار واشتباك المصالح ، ووحدة العادات والتقاليد ، وحدة مزجت بين آمالنا وآلامنا ، فما يصيبها من خير أو شر يصيبنا جميعاً .

وتوثقت صلتى الخاصة بفلسطين وأهلها من يوم أن قامت فكرة الدفاع عن البراق الشريف في صيف سنة ١٩٣٠ . ذلك أن عصبة الأمم حين اشتد النزاع بين العرب واليهود على محل البراق الملاصق للمسجد الأقصى ، قررت تأليف لجنة محايدة للفصل في هذا النزاع . تكونت من ثلاثة هم : وزير سابق لوزارة خارجية السويد رئيساً ، ووكيل محكمة استئناف برن السويسرى ، وآخر هولندى كان حاكماً لأندونيسيا — كمضوين — .

وجاءنى المرحوم أحمد زكى (باشا) المعروف بشيخ العروبة ، ومعه المرحوم الدكتور عبد الحميد سعيد الرئيس السابق لجمعية الشبان المسلمين ، برفقة مندوب فلسطينى أرسله المجاهد الكبير السيد محمد أمين الحسينى مفتى

فلسطين الأكبر وزعيمها ، وطلبوا إلى الذهاب إلى القدس للدفاع أمام هذه اللجنة الدولية المحايدة ، فلم أتردد في القبول .

ذهبنا جميعاً إلى القدس ، وأقمت هناك زهاء عشرين يوماً . وكان يدافع عن دعوى اليهود ، حاخام فلسطين ، ومحام هناك ، وثالث هو أستاذ يهودي نمساوي من كبار المحامين ، حضر خصيصاً للدفاع في هذه القضية . وبعد مرافعات طويلة وأخذ ورد ، وتقديم مذكرات منى وهن زكى (باشا) ، قررت اللجنة — اعتماداً على الحجة الرسمية التي قدمناها — أن البقعة المتنازع عليها ملك الأوفاف الإسلامية . وأن لليهود أن يذهبوا إليها لتأدية عباداتهم وصلواتهم ، باعتبار أن هذا كان منحة من سلطان تركيا ، وتسامحاً منه في الماضي .

شجعتني هذا الفوز — وهو انتصار للحق والعدل من رجال محايدين ذوي مكانة — أن أوالى خدماتي لفلسطين . فساهمت بعد فترة من الزمن في إقامة المؤتمر العالمى بالقدس في ديسمبر سنة ١٩٣١ م . وقد جمع عدداً غفيراً من أولى الرأى والمسكاة من العرب والمسلمين من جميع الأقطار . وأصدر قرارات أملا في أن تكون هذه أدلة كافية ، تقنع النجاة المنتدبة وغيرها بحق فلسطين في حريتها واستقلالها .

وفي سنة ١٩٣٣ ذهبت مع سماحة المفتي إلى شرق الأردن ، ومنه إلى العراق ، ثم إلى شبه القارة الهندية ، للدعاية لإنشاء جامعة عربية في القدس . كما فصلنا ذلك في هذا الكتاب .

ثم قمنا بعقد مؤتمرات أخرى منها مؤتمر « بلودان » في سوريا سنة ١٩٣٧ ، وقد حضره كثير من العلماء والوزراء والكبراء ، وأصدرنا فيه قرارات هامة .

وقد رأينا الاستمرار في الدفاع عن فلسطين ، ثقة مني بأن العدل يفوز ولو بعد حين . ففكرت في عقد مؤتمر كبير دعواناه « بالمؤتمر البرلماني العالمي للبلاد العربية والإسلامية » ويختلف عن باقي المؤتمرات في أنه يجمع أعضاء البرلمانات العربية والإسلامية ، كما يجمع رؤساء العشائر ، ووجهاء البلاد المحرومة من التمثيل البرلماني باعتبارهم متحدثين عنها . وبذلك تكون قراراته معبرة أدق تعبير عن رغبات الأمم العربية والإسلامية ، ويكون لها أثر مرموق .

وأرسلت الدعوة إلى أعضاء البرلمان المصري والعراقي والسوري ، وإلى الكبراء في لبنان والهند والمغرب واليمن ويوغوسلافيا والصين وفلسطين وبلاد المهجر بأسريكا وغيرها . ورغم العقبات التي أقيمت في سبيل انعقاد

هذا المؤتمر فإنه نجح نجاحاً باهراً وأنت إليه الوفود من جميع هذه البلدان .
وكان انعقاده يوم ٧ أكتوبر ١٩٣٨ والأيام التالية ، في سراي آل لطف الله
بالجزيرة بالقاهرة .

وبعد أن أقيمت كلمة الافتتاح ، رأيت أن أضفي على المؤتمر صفة شبه
رسمية ، ليكون كأنه برلمان عربي إسلامي عام . فطلبت إلى صديقي الدكتور
« محمد بهي الدين بركات » رئيس مجلس النواب المصري حين ذلك أن
يرأس المؤتمر في يوم انعقاده الأول ، كما طلبت إلى القائد المحترم « مولود
مخلص » رئيس مجلس النواب العراقي أن يرأس انعقاد اليوم الثاني ،
وطلبت إلى الأستاذ الكبير السيد فارس الخوري رئيس مجلس النواب
السوري أن يرأس اجتماع اليوم الثالث ، فتفضلوا بالقبول مشكورين .
وكان لهذا المؤتمر أثره البالغ في العالم العربي والإسلامي . وتكونت منه
لجان ، اطلعت على التقارير والمسكبات المقدمة من الأفراد والجماعات
العربية والإسلامية في أوروبا وآسيا وأفريقيا والولايات المتحدة والأرجنتين
وشيلي وفنزويلا . وأصدرت قرارات منها تسكينى برئاسة لجنة مكونة
منى ومن أصدقائى : السيد فارس الخورى . والسيد خليق الزمان — من
كبار مسلمى بلاد الهند ، والذي أصبح بعد ظهور دولة باكستان رئيس

الرابطة الإسلامية فيها ثم حاكما للباكستان الشرقية — . والسيد عبد الرحمن صديقي — من كبار رجال الأعمال في كلكتا ومن زعماء المسلمين في الهند — . وكانت مهمة هذه اللجنة السفر إلى إنجلترا لإقناع ولاية الأمور فيها بحق عرب فلسطين ، وألا حق لليهود في اغتصاب أرضهم .

واتفقنا على أن يسافر ثلاثة منا بالباخرة من الإسكندرية إلى إنجلترا ، وأن يسافر السيد فارس الخورى من دمشق إلى تركيا ومنها إلى إنجلترا ، وكانت دهشتنا عظيمة عند ما أرسل إلينا من « استامبول » برقية تفيد منعه عن مواصلة السفر . ووصلنا نحن الثلاثة إلى لندن وأرسلنا بطاقات إلى رئيس الوزارة ووزير الخارجية برغبتنا في المقابلة ، فردت الحكومة البريطانية بعدم إمكان ذلك لظروف سنشرحها في هذا الكتاب . فواصلت السعى إلى أن قبيل لى إن بالامكان مقابلتى منفرداً لوزير المستعمرات البريطانى ، وتمت المقابلة وسنشرح ذلك تفصيلاً .

وعند ما دخلت الجيوش العربية فلسطين لإنتقاذها — بعد انتهاء الانتداب البريطانى — وقامت الحرب بين العرب واليهود ، ساهمت في تكوين هيئة باسم « هيئة وادى النيل العليا لإنتقاذ فلسطين » تألفت من كبار القوم ، وذوى النفوذ فيهم ، يمثلون جميع طبقات الشعب

المصري . وكان لها فروع في الاسكندرية وغيرها . وقد جمعت من المال شيئاً كثيراً ، أمدت منه الشعب الفلسطيني بالغذاء والكساء والدواء ، وجهزت كذلك نفراً من شباب مصر جاهد في فلسطين . وكانوا مثلاً في البطولة والفداء . واستشهد كثير منهم ، وسيطر التاريخ أسماءهم بحروف من نور . واستمرت هذه الهيئة زمناً طويلاً أدت واجبها كاملاً ، وكان الاتحاد العربي بالقاهرة صاحب الفكرة وراعيها .

وبهذا كله كانت صلتى بفلسطين وثيقة ، وأصبحت خادماً لقضيتها ، وسأبقى كذلك ما دمت حياً .

وبما أني وقفت على كثير من تطورات هذه المأساة التي لا مثيل لها في الأجيال الأخيرة ، فقد دفعتني ضميري إلى تحرير هذا الكتاب ، للكشف عن بعض الحقائق ، وإظهار ما حاق بفلسطين من نكبات ، كي يطالع الرأي العام العالمي على جانب من هذه القصة المؤلمة .

وآمل أن يستيقظ الضمير العالمي ، ويطالب برد الحق إلى أهله ، ورفع الظلم عن المنكوبين فإن الرجوع إلى الحق فضيلة وتأييد السلام لا يكون بالظلم والعسف والجبروت ، فالقوة يجب أن تكون خادمة للعادل . وانهقادى أن كثيرين في العالم يرون مصلحة الأمم ومصاحبة السلم في أن يرقى الإنسان .

وترقى الدول إلى مستوى النزاهة والإنصاف ، لا أن ينساق العالم إلى
اختراع المواد المهلكة ، وجعلها تتحكم في مصير الأمم .
ويكفى الإنسان فخراً أن ينادى بكلمة الحق ، وأن يضع ابنه من
إبناته ، ليقوم صرح الإنسانية على أساسه .

ولعلنى بوضع هذا الكتاب الصغير أنبه الغافلين ، وأبني مصلحة
فلسطين والعرب ، ومصلحة العالم بأسره . وأنا كبير الأمل أن سيضيفي لهم
الحقائق على العالم ضوءاً وهاجاً ، تنقشع أمامه ظلمات الجهل والغرور والظلم ،
وتزول به أسباب التطاحن في عالم مضطرب ، يتوق إلى العيش في حرية
واطمئنان . ما

فلسطين والضمير الإنساني

لفلسطين أهمية بالغة ، في نظر الفلسطينيين لأنها وطنهم ، وفي نظر العرب لأنها قلب البلاد العربية ، وفي نظر المسلمين لأن فيها كثيراً من مقدساتهم . كما أنها موضع تقديس أهل الكتاب جميعاً من مسيحيين ويهود . وفوق ذلك كله فإن موقعها الجغرافي له خطورته ، فهي تطل على البحر المتوسط ، وتتأخم بلداناً كثيرة في آسيا وأفريقية ، إذا سيطر عليها شعب من غير جنس أبناء البلاد هدد السلم في المنطقة كلها ، فلا بالك إذا امتلكها شعب يعادى كل من حوله . شعب أتى فاتحاً متحدياً ، وطرد أصحاب البلاد من أرضهم ، التي فيها مقدساتهم وأموالهم ، وبيوتهم وقبور آبائهم وأجدادهم .

إنها لوصمة تلطخ جبين الإنسانية ، وتهز الشعور والضمير العالميين ، وقضية لا تليق بحضارة العصر ومدنية القرن العشرين أن تتواطأ بعض حكومات الأمم الحرة على طرد شعب متجانس من موطن آباءه وأجداده ، ليحل محله أناس من شُذَّاذ الأرض ، مختلفو المذاهب والأجناس ، واللغات والثقافات ، والعادات والتقاليد والأمزجة . وسيسجل التاريخ هذا

الجرم الفاحش الذى يرتد بالجنس البشرى إلى أحط تصرفات الهمج
فى ظل قانون الغاب . وان أقطع الجرائم التى يسجلها التاريخ ليست اعتداء
فرد على فرد ، أو استبداد قبيلة بقبيلة ، أو إخضاع شعب لشعب ، وإنما
هى طرد أمة آمنة من وطنها دفعة واحدة ، ونهب مالها ، وتقتيل أفرادها ،
رجالاً ونساء وأطفالاً ، وتشريد مابقى منهم ، وهو ما وقع فى هذا العصر
الذى يسمونه عصر النور .



قامت فى هذا القرن وما قبله حروب ، استنزل المقتصرون فيها الأمم
المهزومة ، فجردوها من أساحتها ، وفرضوا عليها تعويضات باهظة أو محتملة ،
ولكنهم لم يطردوا المهزومين من ديارهم ، ولم يفرضوا عليهم فقدان أوطانهم
وانتهى أمر المهزومين بأن قاسوا آلام الهزيمة زمنياً ما ، وبقوا فى أوطانهم
يعملون ويكدون حتى التأمّت جراحهم ، وعادوا كما كانوا أمما ، لها طابعها
وكرامتها وقوتها ، تعيش فى أرضها حرّة ، بعد أن عوقبت عقاب الهزيمة
المؤقت . ولم نسمع قط أن أمة ذات حضارة وتاريخ ، تعاقب — بلاجريمة —
بالبطرد والتشريد ، والفقر والحرمان ، والذل والمهانة ، والتعرض للأمراض
الفتاكة ، وتترك هائلة على وجهها ، تطلب الغوث ولا منغيث ، والعوث

ولا معين ، وقد فرض عليها الانحلال والفناء .
هذا هو وضع فلسطين ، وهذا هو حظها من الحياة ، ونصيبها من مدنية
القرن العشرين ! !



ولما كانت نكبة فلسطين غير قاصرة عليها ، والشر الذي ساق بها
سيحتاج جاراتها ، إن عاجلاً أو آجلاً ، فمن الواجب علينا أن نبسط
الحقائق ونتدارسها ، ونبين كيف حيكت الدسائس . وكيف نفذت المؤامرات .
وكيف ضاع هذا البلد العربي ، وشرد أهله في الآفاق . حتى يدرك الغافلون
أن بلادنا كلها في خطر ، وأن مأساة فلسطين ستعقبها مأس ونكبات ،
إن لم نفهم ونتدبر ، ونستعد لدفع الأذى الماحق ، والشر المستطير .
ولما كانت قضية فلسطين فذة في أسبابها ونتائجها ، فريدة في تطوراتها
وملابساتها ، غريبة في الدسائس التي حيكت حولها ، كان لزاماً أن نفهم
الصهيونية على حقيقتها ، وأن نتعرف الصلة بينها وبين دين اليهود ، وأن
نقف على الأسباب التي دفعت بعض الحكومات إلى مناصرة أولئك الذين
دبروا تلك المؤامرة لاجتياح فلسطين ، وما فتئوا يدبرون ويعملون لتحقيق
مآرب أصبحت غير خافية .

ويقتضينا البحث أن نبدأ بذكر طرف من تاريخ ظهور أديان التوحيد الثلاثة : اليهودية والمسيحية والإسلام ، بادئين بأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام .



الخليل إبراهيم

منذ نحو ألفي سنة قبل الميلاد نشأ الخليل إبراهيم عليه السلام كلدانياً في القسم الجنوبي من العراق . وقام يدعو إلى وحدة الخالق جلّ شأنه ، ويتنادى بعبادة الواحد الأحد بين أقوام يعبدون الأصنام . ثم هاجر من أور الكلدانيين بجانب الفرات إلى أرض كنعان (فلسطين) ، ومعه زوجته «سارة» ، ولوط ابن أخيه . ودخلها لافتحاً ولا حاكماً ، بل نبياً يعبد الله ، وفرداً يسعى إلى رزقه ويرعى السكّان . ثم كانت المجاعة في فلسطين فارتأى أن يرحل ومن معه إلى مصر ، فدخلها أيام حكم الرعاة (الهكسوس)^(١) . وأغلب الظن أن كان ذلك أبان حكم الأسرة الخامسة عشرة

(١) الرعاة (الهكسوس) قوم وثنيون أتوا إلى مصر تباعاً من جهة فلسطين وسوريا نتيجة للقحط الذي تسكرر وقوعه في تلك البلاد ، فتنسلخوا إلى مصر جماعات جماعات حتى كثر عديدهم ، وانتهزوا فرصة انحلال الأسرة الثالثة عشرة الفرعونية ، فاعتصبوا السلطة في مصر وحكموها ، وكونوا أربع أسر ، من الأسرة الرابعة عشرة =

وأقام فيها ما شاء الله أن يقيم ، ثم خرج منها مزوداً بالمال والماشية .
ورجع إلى جهة الشمال للعيش فيها ، وتزوج من هاجر (المصرية) وأنجب
منها سيدنا إسماعيل . وبعد سنوات رزق من زوجته الأولى « سارة »
بسيدنا إسحاق . ثم حمل ابنه الأول إسماعيل وأمه « هاجر » إلى مكة
وأسكنهما هناك . وبعد أن شبَّ إسماعيل عاون أباه في بناء الكعبة بمكة ،
وقصة هذا البناء ، وتفجير بئر زمزم من قبل ، وقصة الفداء ، كل ذلك
وارد في كتب التاريخ وفي الكتب المقدسة ، فلا محل لذكره في بحثنا
هذا .

ثم توفي الخليل إبراهيم ، وترك ابنه الأكبر في الحجاز ، وإليه ينتسب
العرب . وأما إسحاق ابنه الأصغر ، الذي بقي في كنعان ، فقد أنجب ولدين
هما « عيسو » و « يعقوب » (إسرائيل) وإلى هذا الأخير ينتسب
بنو إسرائيل .

== إلى الأسرة السابعة عشرة . واستمر حكمهم من حوالى سنة ٢٠٩٨ إلى سنة ١٥٨٧ قبل الميلاد . ولما كانوا أجنب عن البلاد ، فقد جوبهوا بمقاومات عنيفة من المصريين . واستطاع أمراء الجنوب — تحت زعامة مدينة طيبة — أن يواصلوا المقاومة حتى تمكن « أحس » رأس الأسرة الثامنة عشرة المصرية من طردهم نهائياً من مصر ، وتعتبهم شرقاً في فلسطين وسوريا وما بعدها .

أقام « يعقوب » في أرض كنعان ، وأنجب اثني عشر ولدا ، منهم « يهوذا » الابن الرابع - ومن اسمه أخذت كلمة يهود - ومنهم يوسف الصديق الذي تأمر عليه إخوته ، وألقوه في الجب ، ثم أخذته السيارة وبيع اعزير مصر حوالى سنة ١٧٢٩ قبل الميلاد وتربى في بيته ، ثم ارتقى إلى أن أصبح أميناً على خزائن مصر (وزير مالية وتموين) . وكان ملوك مصر في ذلك الحين من الرعاة الأجانب (الهكسوس) كما أسلفنا ، وقد استقدم يوسف أبويه وأهله ، فأقاموا بها زمناً طويلاً ينعمون بخيراتها ، ويكتمزون المسال ، ويحتفظون بديهم وتقاليدهم وعنصرهم . ولما قويت الحركة الوطنية في مصر ، وتمسكن « أحمس » رأس الأسرة الثامنة عشرة من طرد الرعاة (الهكسوس) لم يتعرض لبني إسرائيل ، فظلوا بمصر تحت حكم الأسرة الثامنة عشرة الفرعونية آمنين ، إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة . ومن ملوكها « رمسيس الثانى » الفاتح العظيم ، صاحب المعارك المشهورة ضد الحثيين في بلاد الشام ، وأشهرها موقعة قادش .



ويمكن القول أن موسى عليه السلام ، ظهر في مصر أيام « رمسيس الثانى » ، وكان عدد اليهود قد كثر ، و تراوهم قد ازداد ، وتدخلوا بذلك (م — ٢ فلسطين)

في اقتصاديات البلاد وسياستها ، فأوجس المصريون منهم خيفة حتى إذا خلف
« منفتاح » أباه « رمسيس » أمعن في اضطهاد هؤلاء الدخلاء وتسخيرهم ،
فأجمعوا أمرهم على ترك مصر ، تحت زعامة سيدنا موسى وأخيه هارون .
وقد يتساءل القارئ ، كيف أن فرعون مصر يضطهد اليهود ويعذبهم
ثم يحول دون هجرتهم . والظاهر أنهم كانوا في ثراء وكثرة عدد عند
ما أرادوا الخروج من مصر ، فخشى فرعون أن يلتقوا بأهل الشمال أعداء
مصر ، وهم يمتنون إليهم بصلات القرابي ، وقد يتكفلون معهم ، فتعرض
بذلك مصر لأخطار وحروب تخشى منبتها ، فخرج فرعون وراءهم ، ليلويهم
عن عزمهم ، ففرق هو ومن معه في خليج السويس .

ويرجح بعضهم أن خروج موسى كان أيام « منفتاح » الذي انتهى
حكمه حوالي سنة ١٢١٣ قبل الميلاد . كما يقول البعض أنه لم يرد ذكر
لموسى أو لبني إسرائيل في أى أثر من الآثار المصرية إلا في حجر من
عهد (منفتاح) ذكر فيه أن إسرائيل ، « أبيدت ولم يبق لها بذر » ولم يشر
إلى موسى أو إلى خروج بني إسرائيل ، ولم يرد فيه عن إسرائيل غير هذه
الجملة ضمن الكلام عن بلدان فلسطين ، مما يدل على أن بني إسرائيل كانوا
في ذلك الوقت في فلسطين . وعلى هذا يكون خروج بني إسرائيل في عهد
سابق لعهد منفتاح .

خروج اليهود من مصر

خرج اليهود من مصر ، بعد أن أقاموا فيها زمنا طويلا ، مزودين بالثروة والذهب والفضة . وانفلق لهم بحر « سوف » كما تقول الكتبة الدينية ، ووصلوا إلى شبه جزيرة سيناء سالمين ، بينما غرق فرعون وجنوده في التيم . وأقاموا هناك في التيه أربعين سنة ، وفيه أنزل الله عليهم المن والسلوى . وهنا تقول التوراة ما يأتي :—

« ... لسكنكم لم تشاءوا أن تصعدوا ، وعصيتم قول الرب إلهكم ، وتمصرتم في خيامكم . وقتلتم الرب بسبب بغضته لنا قد أخرجنا من أرض مصر ليدفعنا إلى أيدي الأموريين لكي يهلكنا »^(١) .

ولا داعي لشرح أسباب عصيانهم الله بأكثر مما أسلفنا . وفي التيه مات هارون ، وتوفي بعده موسى ، وحل محله يوشع في قيادة اليهود . ثم توجهوا بعد السنوات التي قضوها في التيه إلى جهة الشمال .

وتقول التوراة : « ... ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والحويين واليبوسيين التي حلف لأبائك أن يعطيك

(١) سفر التثنية لصحاح ١ .

أرضاً تفيض لبناً وعسلاً أنك تصنع هذه الخدمة في هذا الشهر . سبعة أيام تأكل فطيراً . وفي اليوم السابع عيداً للرب ... »

« وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة ، لأن الله قال : اثلاً يندم الشعب إذا رأوا حرباً ، ويرجعوا إلى مصر . فأدار الله الشعب في طريق برّيه بحرسوف ، وصعد بنو إسرائيل متجهزين من أرض مصر . وأخذ موسى عظام يوسف معه ، لأنه كان قد استحلف بنو إسرائيل بحلف . قائلاً : إن الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا معكم ... »

« وارتحلوا من سُكُوت ونزلوا في إيثام في طريق البرّية . وكان الرب يسير أمامهم . نهراً في عمود سحب ليهديهم في الطريق ، وليلاً في عمود نار ليضيئ لهم لكي يمشوا نهراً وليلاً . لم يبرح عمود السحاب نهراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب »^(١)

وجاء في التوراة « ... في ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطى هذه الأرض ، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات . القينيين والقنزيين والقدمونيين والسلثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين ،

(١) سفر الخروج الأصحاح ١٣ .

والسكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين^(١) .

يتضح من هذا ظهور نزعة الفرز والفتح عند اليهود . إذ تأمرهم التوراة أن يفتحوا البلاد الواقعة بين النيل والفرات ، يأخذوها لأنفسهم بالطريقة التي أباحها لهم التوراة . كما جاء في الإصحاح الآتي : —

« ... حين تقرب من مدينة لسكى تحاربها . استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسلمك بل عملت معك حرباً لحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً ، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ماء ، بل تحررها تحريراً الحثيين والأموريين والسكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أسرك الرب إلهك لسكى لا تعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم ، التي عملوا لألهتهم ، فتخطئوا إلى الرب إلهكم .. »^(٢)

(١) سفر السكونين لإصحاح ١٥ .

(٢) سفر التثنية لإصحاح ٢٠ .

الاعتداء اليهودى الأول على فلسطين

سار اليهود إلى جهة الشمال كما أمرتهم التوراة إلى أن وصلوا إلى بلاد الأردن شرق النهر . ثم تقول التوراة إن الله أمرهم بعبور هذا النهر نحو الغرب أى نحو أرض كنعان (التي تسمى الآن فلسطين) ووعدهم بامتلاكها . فعبروه وساروا جميعاً ومعهم الكهنة يحملون تابوت الرب حتى مدينة « أريحا » وتفصيل ذلك وارد فى التوراة حيث تقول :

« ... وكان فى المرة السابعة عندما ضرب الكهنة بالأبواق أت « يشوع » قال للشعب اهتفوا لأن الرب قد أعطاكم المدينة . فتكون المدينة وكل ما فيها محرماً للرب . راحب الزانية فقط ، تيحيا هى وكل من معها فى البيت ، لأنها قد خبأت المرسلين الذين أرسلناهم . وأما أنتم فاحترزوا من الحرام ألا تحرموا وتأخذوا من الحرام وتحملوا محبة إسرائيل محرمة . وتسكدروها . وكل الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد تسكون قدساً للرب وتدخل فى خزنة الرب . فهتف الشعب ، وضربوا بالأبواق . وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافاً عظيماً فسقط السور فى مكانه ، وصعد الشعب إلى المدينة . كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة . »

وحرّموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف . وقال يشوع للرجلين اللذين تجسسا الأرض أدخلتا بيت المرأة الزانية ، وأخرجتا من هناك المرأة وكل ما لها كما حلفتما لها . فدخل الغلاسان الجاسوسان وأخرجتا راحاب وأبها وأما وأخوتها وكل ما لها وأخرجتا كل عائلتها وتركاهم خارج محلة إسرائيل . وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها . إنما الفضة والذهب وآنية الفضة والحديد جمعواها فى خزانة بيت الرب . واستحى يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل ما لها ، وسكنت فى وسط إسرائيل إلى هذا اليوم . لأنها خبأت المرسلين اللذين أرسلهما يشوع لى يتجسسا « أريحا » ^(١) .

* * *

حكم داود وسليمان

وتنفيذاً لما سبق من نصوص ، ورغبة من اليهود فى اغتصاب أراضى فلسطين وامتلاكها ، بدءوا كما قلنا بالهجوم على مدينة « أريحا » واستولوا عليها ، وتصرفوا فى أهلها وأموالها على النحو الوارد فى النصوص السابقة .

(١) سفر يشوع لإصحاح ٦ .

واستمروا بعد ذلك في غزوهم .

وفي حوالى سنة ١١٠٠ قبل الميلاد احتل اليهود أغلب البقاع الجبلية في أرض كنعان . ثم اختاروا « شاوول » ملكا لهم . وخلفه الملك داود الذى هزم الكنعانيين ووطد ملكه في أرضهم . ومدة حكمه نحو أربعين سنة من حوالى سنة ١٠١٠ إلى سنة ٩٧٠ قبل الميلاد . ومن بعده جاء الملك سليمان ، ووسع ملكه من جهة الشمال والجنوب ، وبسط سلطانه على الأراضى التى كانت تفصل بين الامبراطوريتين المتخاصمتين : آشور ومصر .

ولسكنه لم يمتلك ساحل البحر المتوسط امتلا كما تماماً . بل كان هذا الساحل ، من الجنوب ملكا لقوم يدعون بالفلسطينيين ، أتوا من جزر البحر المتوسط ، واستقروا فيه ، واستردوا سلطانهم كاملا إثر موت الملك سليمان ، ومن الشمال أى في لبنان ملكا للفينيقيين .

وعلى هذا كانت فلسطين ، يسكنها أهلوها الكنعانيون ومعهم اليهود في الوسط ، ويسكنها الفلسطينيون في الساحل ، ثم توالت العصور واندمج الكنعانيون والفلسطينيون في وطن واحد باسم فلسطين . وقد بنى سليمان هيكله على جبل الثريا بأورشليم « القدس » . ومات حوالى سنة ٩٣٠ قبل

للبيلاد . وبموت سليمان تطرق الضعف إلى مملكته ، وانقسمت إلى قسمين : مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة (نابلس) . ومملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم « القدس » وقد اندمجت الأولى في إمبراطورية آشور ، فيما بين سنة ٧٢١ و ٧١٥ قبل الميلاد . وبقيت يهوذا تحت سيادة هذه الإمبراطورية .

وفي سنة ٥٨٥ قبل الميلاد أغار بختنصر ملك بابل ، التي حلت محل آشور ، على مملكة يهوذا وضمها إلى ملكه ، ونهب مدينة القدس ودمرها ، ودمر الهيكل تدميراً تاماً ، ونفى اليهود إلى جهة الفرات في منطقة بابل وطنهم الأصلي .

وفي حوالي سنة ٥٣٨ قبل الميلاد بعد أن احتل (قورش) — ملك الفرس — بابل سمح لليهود المنفيين بالرجوع إلى فلسطين ، فرجع إليها بعضهم ، وأخذوا في إعادة بناء الهيكل ، بتصريح من قورش . وبقي أكثرهم في بابل .

وبعد قرنين أو أكثر خضع اليهود لحكم البطالسة خلفاء الإسكندر الأكبر ، الذي فتح هذه البلاد من قبل .

وفي سنة ٦٣ قبل الميلاد اكتسح الرومان فلسطين ، واستولوا على

القدس ، ولم تقم لدولة اليهود بعد ذلك قائمة إلى عصرنا هذا .
ومن هذا البيان يظهر بوضوح أن اليهود اغتصبوا فلسطين من أهلها
اغتصاباً ، بالقوة والقهر والتقتيل . وأنهم لم يمتلكوا ساحل البحر المتوسط
إلا فترة قصيرة . ولم تكن لهم دولة مستقلة ذات سيادة بالمعنى الصحيح
إلا في حكم داود وخلفه سليمان . وإذا أضفنا مدة الضعف والالتقسام
في الدولة اليهودية ، أمكن اعتبار نهاية سلطان اليهود على فلسطين حوالي
٧١٥ قبل الميلاد . وعلى ذلك تكون أطول مدة حكم فيها اليهود فلسطين
بين سنة ١١٠٠ وسنة ٧١٥ قبل الميلاد .



حكم الرومان بلاد فلسطين من سنة ٦٣ قبل الميلاد كما أسلفنا ، وبقى
هيكمل اليهود الثاني الذي سمح قورش ملك الفرس لهم بإعادته ، وعاش
اليهود تحت سلطة الرومان إلى أن دمر الأمبراطور تيطوس في سنة ٧٠
ميلادية مدينة أورشليم وأحرق الهيكل بسبب ثورة قام بها اليهود .
وفي سنة ١٣٥ ميلادية دمر الرومان أورشليم مرة أخرى تدميراً تاماً
وحرثوا أرضها . ثم أتى الأمبراطور الروماني أدريانوس ، وأقام مكان الهيكل
اليهودي هيكلاً وثنيّاً ، باسم إلهه المشتري « جوبيتر » . وبقى هذا الهيكل

إلى أن قامت المسيحية في أورشلیم ، فدمره المسيحيون من أساسه في عهد
الأمبراطور قسطنطين ووالدته هيلانه .

* * *

الفتح العربي

ظلت فلسطين خاضعة للرومانيين والبيزنطيين نحو ٥٠٠ سنة ، إلى
أن فتحها العرب سنة ٦٣٦ ميلادية (١٥ هجرية) ، وأقاموا مسجد عمر
مكان الهيكل الذي كان لليهود قديماً ثم للوثنيين الرومان من بعدهم ثم
دمره المسيحيون الرومان بعد ذلك نهائياً كما أسلفنا .

ومن هذا يفهم بوضوح أن العرب المسلمين لم يفتصبوا هيكلا لليهود ،
كما أنهم لم يفتصبوا مملكة من اليهود ، وإنما أخذوا بلداً كان خاضعاً
للرومان ، ومن قبل للبطالسة ، ومن قبل لليونان ، ومن قبل للفرس ، ومن
قبل لمملكة بابل ، ومن قبل لمملكة آشور . واستمر العرب في فلسطين
إلى عصرنا هذا ، أي نحو أربعة عشر قرناً .

ورغم تعدد الفتوح ظل أهل البلاد الأصليون ، من السكنعانيين ومن
عاش معهم ، يقيمون في دورهم ويستثمرون أراضيهم ، تحت حكم

الأمبراطوريات المختلفة ، والديانات المختلفة . وقد تأثروا بهذه الديانات فكانوا وثنيين ، ثم مسيحيين ، ثم مسلمين ومسيحيين . وتعدد الديانات والعقائد في تلك الديار لا ينفي أنهم أصحابها من يوم أن ولد التاريخ . وهؤلاء السكان أصحاب تلك الديار ، هم الذين شرد أبناؤهم في الأيام الأخيرة ، وحل محلهم اليهود الأغراب ، الذين لم تكن لهم صلة بفلسطين سوى أنهم أغاروا عليها في الماضي البعيد وحكموها قهراً فترة قصيرة كما بينا . وهام أولاء الآن يعيدون سيرتهم الأولى ، بفضل معونة إنجلترا وأمريكا .



اليهودية دين عنصري

يختلف المؤرخون في أمر التوراة ، فبعضهم يقول : إن التوراة الحالية لم يكتبها موسى الكليم ، وإنما هي من وضع أحبار لم يذكروا أسماءهم عليها . ويقول آخرون : إن الأحبار ألفوها على التعاقب في الفترة بين القرن الثالث عشر والخامس قبل الميلاد ، معتمدين في تأليفها على روايات ، سمعوها قبل سبي بابل . وفريق يقول : إن جميع أسفار التوراة دوّنت

بعد السبي البابلي ، ودليلهم على ذلك كثرة الألفاظ البابلية فيها^(١) .
وليس يهمننا هذا في كثير أو قليل ، وإنما الذي يعنيننا هو أن اليهود
يؤمنون بصحة التوراة ، ويعتقدون أنها صادرة من عند الله ، ويلتزمون
أوامرها وقد أوردنا بعضها من قبل ، ويقدمون نصوصها ، ومنها أنهم
شعب الله المختار فضلهم على العالمين ، ويميزهم على الخلق . وبلغ من
اعتقادهم بسمو عنصرتهم أنهم يترفعون على العناصر الأخرى ، ولا يندمجون
فيها . بل إنهم يفكرون المساواة مع الذين يشتركون معهم في النسب إلى التخليل
إبراهيم ، ويقطعون الصلة بينهم وبين إسماعيل أبي العرب ، حتى قالوا إن
« الفداء » كان لإسحق ولم يكن لإسماعيل .

من أجل ذلك لم يسموا في التبشير بدينهم ، وأنقوا من اشتراك غيرهم
في شرف الانتساب إليه . وحصروا هذا الشرف في نسل يعقوب وحده .
واعتبروا باقي البشر همجاً أو شبه أنعام « جوييم » خلقهم الله لخدمتهم ،
وأيكونوا تحت إمستهم .

على أن هذا لم يمنع دخول عناصر أخرى في دين اليهود ، مثل أهل
البن الأقدمين ، الذين اعتنقوا اليهودية طواعية أيام حكم الرومان ، كذلك

(١) انظر كلمة « تورا » في موسوعة لاروس والموسوعة الفرنسية الكبرى
والموسوعة البريطانية .

أثبت علماء الجنس البشرى أن عناصر آرية كثيرة قد اعتنقت اليهودية ومنها الصقالبة والجرمانيون اليهود من سكان سواحل بحر البلطيق ، الذين تدل سجلاتهم ، وتسكوين رؤوسهم ، وألوان بشرتهم ، ووزقة عيونهم ، واصفرار شعورهم — على أنهم آريون قطعاً .

لكن اليهود رغم أن دخل في دينهم كثير من الشعوب المختلفة والعناصر المتعددة يعتبرون كل يهودى من نسل يعقوب ومن صميم الاسرائيليين . وهذا الخليط المسكون من عناصر مختلفة أصبح في نظرهم شعب الله المختار ، عنصره دين اليهود لا حقيقة أصله وسلالته ، فضلاً عن أن سلالة أسباط يعقوب قد قضى عليها الزمن وفنيت في التاريخ . ولهذا أصبحت العنصرية عندهم هي الدين ، ولوتهود أحد أبناء القرن العشرين لأصبح في نظرهم من سلالة أسباط يعقوب .

المسيحية دين عالمي

كان من نتيجة تحفظ بنى إسرائيل وعدم التبشير لدينهم ، أن أصبحوا أقلية في العالم بعكس المسيحية التي ظهرت فيما بعد، وعارضت فكرة الديانة العنصرية . وكان السيد المسيح بمخالفته بعض قواعد آباءه الامراتيليين قد أثار حفيظة اليهود . فحملوا عليه حملات شعواء ، وطالبوا الحاكم الروماني بتسليمه إليهم ، ليعذبوه ويصلبوه . وكثير منصوص الانجيل تؤكد مخالفة المسيحية للديانة العنصرية ، وتذكر امتياز عنصر على عنصر . وحسبنا أن نورد هنا بعضها . جاء في الانجيل :

« ... فاصنعوا ثماراً تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أبا . لأننى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم . والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر فكل شجرة لا تصنع ثمرأ جيداً تقطع وتلقى في النار^(١) . »
وجاء فيه ما يأتى :

(١) أنجيل متى أصحاح ٣

« ... الحق أقول لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا وأقول لكم أن كثيرين سيأتون من المشرق والمغرب ويتكثرون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية^(١) » .
وجاء فيه :

« ... فاني أقول لكم إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدر . من بعد ما يكون رب البيت قد قام وأغلق الباب وابتدأتم تقفون خارجا وتقرعون الباب قائلين يارب يارب افتح لنا يجيب ويقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم . حينئذ تبدأون تقولون أكلنا قدامك وشربنا وعلمت في شوارعنا . فيقول أقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم . تباعدوا عني يا جميع فاعلى الظلم . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان متى رأيتم إبراهيم وإسحق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجا . ويأتون من المشرق ومن المغرب ومن الشمال والجنوب ويتكثرون في ملكوت الله . وهو ذا آخرون يكونون أولين وأولون يكونون آخرين^(٢) » .

(١) أنجيل متى أصحاح ٨ . (٢) أنجيل لوقا أصحاح ١٣ .

وجاء فيه :

« ... أجاوبوا وقالوا له أبونا هو إبراهيم . قال لهم يسوع لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ^(١) » .

وذكر بولس في رسالته إلى أهل رومية ، أن الختان لا يجعل الإنسان ابناً لإبراهيم ، وإنما أبناؤه من يسلكون في خطوات الإيمان ، وأن إبراهيم أب لنا جميعاً والله جعله أباً للأمم كثيرة .

وجاء في رسائل بولس لأهل رومية أيضاً « لأن الكتاب يقول كل من يؤمن به لا يُخْزَى . لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني لأن رباً واحداً للجميع غنياً لجميع الذين يدعون به ^(٢) » .

وذكر أيضاً ، أن حكم الناموس يتم بالروح لا بالجسد ، وأن اهتمام الجسد موت ، وأما اهتمام الروح فهو الحياة والسلام .

ونقل بولس كذلك عن السيد المسيح : أن أعمال الإنسان هي التي تظهره أو تنجسه .

وما تقدم يفهم بجلاء أن دين عيسى عليه السلام يختلف عن دين بني

(١) أنجيل يوحنا لإصحاح ٨ .

(٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية . لإصحاح ١٠ .

(م — ٣ فلسطين)

إسرائيل في أمور أهمها أن المسيحية ديانة لا تأبه بالعنصرية وإلتصاف تنظر إلى أعمال المرء ، وأن لا امتياز بين عنصر وعنصر بعكس ما يدين به اليهود أولئك الذين جعلوا من أنفسهم شعب الله المختار ، واعتبروا باقي البشر عناصر منجسة .

* * *

وقد قام الحواريون بعد سيدنا عيسى بالدعوة لدينه ، وضحوا بما ضحوا ، وقاسوا في سبيل ذلك ما قاسوا من تعذيب وتقتيل ، سواء أكان ذلك من اليهود أم من الوثنيين في جميع أرجاء الأرض .

الإسلام دين عالمي

والدين الإسلامي الذي يعتبر محمداً خاتم النبيين والمرسلين ، هو أيضاً دين عالمي بنص القرآن إذ يقول « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً وتقيراً ^(١) » .

ويعتبر الإنسان أرقى مخلوقات الله خلقه في أحسن تقويم ، وكرمه تسكريماً « ولقد كرمنا بني آدم ^(٢) » .

وقرر المساواة بين الناس أجمعين ، فلا تفاضل بينهم إلا بالعمل الصالح « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ^(٣) » .

وأكد الرسول هذه المساواة بأحاديث كثيرة ، منها قوله في خطبة حجة الوداع :

« أيها الناس .. إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي على عجمي ،

(١) سورة سبأ .

(٢) سورة الاسراء . (٣) سورة الحجرات .

ولا اعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض —
فضل ، إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد ، ألا فليبايع الشاهد
منكم الغائب » .

من هذا وغيره من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، يفهم أن
الإسلام دين عالمى ، وأن الناس سواسية فلا تفاوت بين العناصر ، ولا تفاضل
بين الأفراد ، فلا غدر ولا ظلم ولا كراهية . ويجب أن يسود العدل بين
البشر . فالناس جميعاً من أب واحد هو آدم ، لا إبراهيم ولا إسماعيل
ولا إسحاق ولا يعقوب ، وإن أكرمهم عند الله أتقاهم .

وقد سعى النبي عليه السلام إلى تنقية النفوس وتطهيرها من الرجس ،
حتى لا تصدر أعمال المرء عن هوى جامح ، أو رغبة أثيمة .

وإذا تصفحت القرآن الكريم ترى فيه آيات بينات تدل على ما يجب
أن يكون عليه الإنسان من طهر وعفة وشهامة ، وخير للناس جميعاً .

وعلى هذه الأسس قام النبي عليه السلام بالدعوة إلى دينه بين أهل
الكتاب وعباد الأصنام ، يدعوهم إلى طاعة الله والأخاء والحرية والمساواة ،
ويجادلهم بالحسنى « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ^(١) » .

(١) سورة العنكبوت .

بغير ما عذف ولا إكراه . ثم قام من بعده صحابته ، ينشرون الدين على هذا النحو في جميع الأرجاء .

* * *

ويحذر بنا أن نذكر هنا أن الاسلام ظهر في مكة المكرمة في أوائل القرن السابع الميلادي . وكان النفوذ فيها لقريش الوثنية ، صاحبة الثروة والجاه ، والتي تنفرد بخدمة الكعبة التي بناها من قبل إبراهيم وابنه إسماعيل . وكان الوثنيون في الحجاز أهل قوة وبطش وجاهلية ، وكان لليهود مستعمرات صغيرة في يثرب (المدينة) وخيبر اللقاربتين . وكان بعض المسيحيين يسكنون جهات أخرى أهمها نجران .

فلما أعلن النبي دعوته ، كان أهل قريش أشد أعدائه مقاومة وبطشا . فاصبوه العداء ، وآذوه هو وأتباعه ، وبطشوا بمن دخلوا في دينه ، حتى فكر بعضهم في الهجرة فراراً بدينهم وأرواحهم . فإلى أية جهة يفرون ؟ وإلى من يلجئون ؟ لقد صحت عزيمتهم على الهجرة إلى بلاد الحبشة ، وهي بلاد مسيحية يحكمها النجاشي ، لجأ إليه المسلمون وكان عددهم أحد عشر رجلاً منهم جعفر بن أبي طالب ، وأربع نسوة .

كيف عامل المسيحيون النبي محمداً وصحبه

لجأ الصحابة الأحد عشر ومعهم نسوة أربع إلى النجاشي بإشارة من النبي محمد عليه السلام . وما أن استقروا هناك واطمأنوا ، حتى أرسلت قريش خلفهم برجلين من الوثنيين ، يطلبان من النجاشي ردهم إلى بلادهم ، زعماً منهما أن الأمن مستتب في الحجاز ، وأن هؤلاء اللاجئين كفروا بدين آبائهم وأجدادهم ، وأنهم فوق ذلك لا يؤمنون بدين النجاشي . فلم يكن من هذا المليك إلا أن حقق الأمر بنفسه ، فتلا عليه المسلمون سورة مريم ، وفيها يذكر القرآن أن عيسى عليه السلام رسول من عند الله ، وأن مريم العذراء حملت به دون أن يمسه بشر ، وأنه روح الله وكلمته أنقأها إليها . وفي السورة ما يأتي بنصه :

« فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ، قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا . فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي ، قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهَزَّتْ يَإِيلِكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَنِيًا ، فَكَلَى وَأَمْرِي . وَفَرَّقَ عَيْنًا فَأَمَّا تَرَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا . فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ، قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَاقِيًّا ،

فأشارت إليه ، قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً . قال إني عبد الله ،
آتاني الكتاب ، وجعلني نبياً ، وجعلني مباركاً أينما كنت ، وأوصاني بالصلاة
والزكاة ما دمت حياً . وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّاراً شَقِيماً . والسلام
على يوم وُلِدْتُ ويوم أُمُوت ويوم أُبْعَثُ حياً^(١) .

فلما سمع النجاشي والبطارقة هذا القول قال البطارقة : هذه كلمات
تصدر من النبع الذي صدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح . وقال
النجاشي : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة .
ورفض النجاشي تسليم اللاجئين إلى مندوبَي قريش ، بعد أن فهم أن
المسلمين يعترفون بعيسى ، ويقرون النصرانية ، ويعبدون الله . فرجع المندوبان ،
وبقى المهاجرون في بلاد الحبشة . يكرم النجاشي مشواهم ، إلى أن بدا لهم
الرجوع إلى وطنهم ظانين ألا خوف عليهم ، لسكنهم رأوا بعد رجوعهم
أن الاضطهاد ما زال قائماً . فهاجر ثانية إلى بلاد الحبشة ثمانون مسلماً ،
ومعهم نساؤهم وأطفالهم ، وعاشوا في أمن وتسكريم إلى أن هاجر النبي إلى
يثرب (المدينة) فلاحقوا به هناك .

* * *

(١) سورة مريم .

كذلك لم ير المسلمون من نصارى الحجاز تأسراً أو خداعاً ، لأن هؤلاء عرفوا أن الإسلام سجل كرامة المسيح عليه السلام ، وقُدْسِيَّتَهُ هو وأمه البتول . وأن سيدنا عيسى وقد شهد التاريخ بتعذيب اليهود له حتى وصلوا به إلى الصليب قد أكرم القرآن شخصه ، ونزهه ، وحفظ ذاته المقدسة من أن يتعرض جسمه الطاهر للقتل والصليب فقال : « وما قتلوه وما صلبوه ولا كن شبه لهم » ^(١) ، وأن الله تعالى بقدرته رفعه إليه ، وهذا أرق ما يقال عن السيد المسيح .

ومما يدل أيضاً على حسن معاملة المسيحيين للمسلمين الأوائل تصرف المقوقس عظيم القبط في مصر مع وفد المسلمين الذين حملوا إليه دعوة النبي للدخول في الإسلام . فقد أصغى المقوقس إلى طلبات الوفد وزوده بهدية إلى النبي منها السيدة مارية القبطية ، التي تزوج بها وأنجب منها إبراهيم . وهذا يدل على أن معاملة المسيحيين للمسلمين في تلك الأوقات كانت معاملة نبل ، من رجال دين توحيد عالمي لرجال دين توحيد عالمي . ولم يكن في الأمر عنصرية أو عنجهية ، بل كان هناك تفاهم بالحسنى ، ورغبة في الوصول إلى الحق .

(١) سورة النساء .

كيف عامل اليهود النبي محمداً وصحبه

قلنا إن المسلمين يعترفون بدين عيسى ودين موسى . ويعتبرون أتباعهما من أهل الكتاب . أما اليهود فلا يعترفون بدين عيسى ، ولا بدين محمد ، ويعتبرون أتباعهما من الكافرين أعداء الله . ولا يعقدون إلا بصحة الموسوية وحدها ، وأن بنى إسرائيل هم شعب الله المختار . ونجم عن هذه العقيدة الراسخة في أذهانهم تصرفات مع نبي المسلمين وصحبه تجتري منها بما يأتي :

أولا : بعد أن أسلمت قبيلتنا الأوس والخزرج وهما سكان يثرب (المدينة) ، وهاجر النبي وصحابته إليها ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وأصبح المسلمون فيها كتلة قوية متحابة متمزجة ، عز هذا على يهود يثرب وعاظهم تألف المسلمين ، فأوعز أحد اليهود واسمه (شاس بن قيس) إلى شاب يهودى أن يجلس بين الأوس والخزرج ، وينشد ما قال بعضهم لبعض أيام الجاهلية ، من تفاخر وتنابد بالألقاب ، ليثير بينهم العداوة القديمة . ففعل . فتنازع القوم ، وتفاضلوا ، وقالوا « السلاح السلاح » . فأدركهم رسول الله ، وقال : أتدعون إلى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن أكرمكم الله بالإسلام ، وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بين قلوبكم . فعلموا أنها كيد

من اليهودى ، وألقوا السلاح واستغفروا ، وعانق بعضهم بعضاً . وفى هذا نزل القرآن الكريم بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب ، يردوكم بعد إيمانكم كافرين »^(١) .

ثانياً : تكررت محاولات اليهود إثارة الفتن بين المسلمين فى المدينة . فاضطر هؤلاء إلى إجلاء اليهود عنها تبعاً ، حرصاً على الوحدة والدين ، لكن اليهود لم يسكتوا بعد جلائهم عن المدينة ، وذهب بعضهم إلى مكة ليثيروا ثورة القرشيين الوثنيين ضد محمد وأصحابه . ووصل أمرهم إلى أن قالوا للقرشيين إن وثنية هؤلاء أفضل من دين محمد . مع العلم بأن دين محمد دين توحيد كدين موسى . وبهذه الخديعة تمكن اليهود من الاتفاق مع قريش للإيقاع بالمسلمين . وتحالفت قبيلة بنى النضير اليهودية مع قريش ، وتجمعوا آلافاً عدة من قريش وبنى النضير وغيرهم . وذهبوا إلى المدينة ليضربوا المسلمين ضربة قاضية ، فسكانت وقعة الخندق المعروفة ، وفيها حفر المسلمون خندقاً حول المدينة فمجزت الأحزاب عن غزوها ، وعسكرت خارجه . ولما طال أمد الحصار ، ولم تطق الأحزاب صبراً ، لجثوا إلى إغراء بنى قريظة القبيلة اليهودية الباقية فى المدينة ، لتنقض عهدها الذى عقدته

(١) سورة آل عمران .

مع المسلمين . ففعلت ، ومنعت عن المسلمين المحاصرين المدد والميرة . وقد انتهى الأمر بهزيمة الأحزاب ورجوعهم^(١) . وقد ذكر القرآن الكريم هذه الغزوة في الآيات « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً^(٢) ... الخ » .



هنا نحن أولاء قد ذكرنا طرفاً من حسن معاملة المسيحيين للنبي محمد وأصحابه ، في بدء ظهور الإسلام ، كما ذكرنا طرفاً من معاملة اليهود له ، ونقضهم العهد مع المسلمين مما حل هؤلاء على إجلالهم عن الجزيرة العربية . اتقاء لشروهم . وقد أثبت القرآن هذه الحقيقة بقوله « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً ، وأنهم لا يستكبرون^(٣) » .

(١) كتاب حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل وكتب السيرة .

(٢) سورة الأحزاب .

(٣) سورة المائدة .

تلك حقيقة رسخت في أذهان المسلمين ، ودليل على كراهية اليهود لهم .

ومن الأدلة على كراهية اليهود للمسيحيين ، أن عظيم بيت المقدس عندما سلم المدينة إلى عمر بن الخطاب ثانی الخلفاء ، شرط عليه ألا يسمح لليهود بالبقاء في بيت المقدس وفي فلسطين . وذلك ثابت في العهد الذي وقعه خليفة المسلمين إلى صوفرينوس بطريرك القدس . وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا (أورشليم) من الأمان : أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم . وأسكنائهم وصلبانهم . وسقيمتها وبريئتها وسائر ملتها . أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم . ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم . ولا من شيء من أموالهم . ولا يكرهون على دينهم . ولا يضار أحد منهم . ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن . وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله ، حتى يبلغوا مأمنهم . ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية . ومن أحب من أهل

إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بينهم وصلبهم فإنهم على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمتهم . ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية . ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله . وأنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله ، وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية » .

واقد بلغ عطف المسلمين على المسيحيين أن عمر عندما دخل كنيسة القيامة وحان وقت الصلاة هم بالخروج ليؤدي الصلاة خارجها . ولما قال له البطريرك: إن دين المسلمين لا يمنع الصلاة في الكنيسة . أجابه عمر : إنه يخشى إن صلى فيها أن يعتقد الجاهل من المسلمين أنها أصبحت مسجداً . ثم غادرها ، وأدى الصلاة خارجها .

فهل للمسيحيين والمسلمين أن يدركوا ما كان عليه آباؤهم الأولون من تعاطف وحسن تفاهم ؟ وأن اليهودية — كما يفهمها اليهود لا كما نفهمها نحن — عدوة الفريقيين تتربع بهما الدوائر . وأن المسيحية والإسلام لا يعترفان بعنصرية وأن التفاوت بين بنى البشر يرتبط بالتفاوت في الفضيلة والتقوى .

أسباب تماسك اليهود

ثبت لنا مما أسلفنا ومما سنذكره ، أن اليهود يعتبرون المسيحية عدوهم الأول والأكبر ، وأن الإسلام عدوهم الثانى . تبعاً لتاريخ ظهور الدينيين . و زاد في عدائهم أنهم أصبحوا قلة ضئيلة أمام الدينين العالميين اللذين انتشرا في الشرق والغرب ، مع أنهم شعب الله المختار كما يعتقدون . فتولد في نفوسهم كثير من الغيرة والحسد . وقويت عندهم الرغبة في الوصول إلى القوة والنفوذ ، رغم قلة عددهم ، بسبب تماسكهم بعنصريتهم ورغبتهم في انفراد بنى إسرائيل باليهودية . وبهذا ففكرة اشتراك بنى آدم وروح إبراهيم وإسماعيل في شرف عنصرهم .

ولا يمكن لمثل هذه القلة المترفعة إلا أن تكون ضعيفة ، ولا سبيل إلى اكتسابها القوة إلا بالمال . لهذا تركزت أعمالهم أول أمرهم في اقتناء الذهب والفضة . فهم في مصر أيام الفراعنة غنموا مالا كثيراً ، وخرجوا منها مزودين بالذهب والفضة ، حتى أنهم حين عصوا موسى وارتدوا إلى الوثنية في التيه أقاموا لأنفسهم عجلاً من الذهب يعبدونه ، وعندما أخرجوا من فلسطين ، وتشنت شملهم ، وتوطن فريق منهم بلاد العرب وخاصة يثرب

«وخير أيام الجاهلية كانوا من أجمع سكانها في صياغة الذهب والفضة ، ومزاولة الربا ، كما يروى التاريخ . وبهذا كان لهم نفوذ وأى نفوذ ، وكذلك الذين انتشروا منهم في ربوع أوروبا وآسيا وإفريقية كان ديدنهم التماس القوة بجمع المال ، عن طريق مزاولة التجارة والصياغة والربا . ولم يفسكر اليهود كثيراً في احترام الزراعة ، لأنها تحتاج إلى بذل جهد كبير ، وتخضع لتقلبات الطبيعة . ولأن القلة تخشى على نفسها إن هي اختلطت في الزراعة مع السكثرة التي تخالفها في الدين . ولأن مزاولة الصياغة والتجارة والربا أجدى عليهم من الزراعة ، وتتيح لهم السكن في المدن تحت حماية رجال الشرطة ، فكانوا يتجمعون في أحياء خاصة ، ويحاولون أعمالهم آمنين .

كل هذا كان مدعاة إلى تضامن بين اليهود ، وبقظة وبصيرة وحيل تتفهمها مزاولة التجارة ، وتستلزمها أعمال الربا ، وما يدعو إليه كل ذلك من مرونة ووداعة وحذر ، ودقة ، أصبحت في دم اليهود خصالاً متوارثة ، لا يدانيهم فيها سواهم .

ثم إن وفرة المال في أيديهم ، وشدة الرغبة في تحسين مركزهم ، وتجمعهم في المدن ، كل أولئك سهّل عليهم التعلم . ولا يخفى ما للعالم من قوة . فأقبلوا على المدارس والمعاهد ، لينتفعوا بتحصيل العلوم والفنون بجانب

ما يرثونه عن آبائهم من نشاط ويقظة في أعمال التجارة والمال . فكان لهم من هذا المزيج قدرة خاصة ، أوجدت فيهم حاسة سادسية يدركون بها الضمانات التي تؤمن حاضرم ومستقبلهم وتحفظ لهم المركز الاجتماعى والمالى اللائق بنشاطهم ، وهم بين شعوب كثيفة تختلف عنهم فى الدين والمسلكت .

اليهود أمام العالم

ظاهرة غريبة قد توجب الحيرة . وهي أنه كيف اتفق كثير من الناس في المشرق والمغرب على عدم الاطمئنان إلى اليهود وعلى الحذر منهم . قد يرجع اليهود ذلك إلى اختلاف الأديان ، وإلى الغيرة والحسد بسبب تفوقهم المالي ونشاطهم الملحوظ . أما غير اليهود فيرجعونهم إلى قسوة هؤلاء في مزاوله الربا والأعمال المالية مع غير بني جنسهم ، وإلى انحراف الكثيرين منهم عن الفضيلة التي يجب أن يلتزمها الناس ، انحرافاً تبدو آثاره واضحة في الأمور التجارية والاجتماعية ، بوسائل يصفها بعضهم بالخديعة والنفاق والرياء مما لا نريد بسطه هنا .

ولقد رأيت مما سبق أن بني إسرائيل عند ما وفدوا على مصر ، وانضموا إلى سيدنا يوسف كانوا لاجئين ، موادعين ، يلتمسون الرزق ، ويحاولون التجارة وقد آواهم القراعنة ، وأكرموا ميثوهم وأفسحوا لهم مجال العمل في مصر ، رغم الاختلاف في الدين . وأوضح دليل على ذلك أن أصبح يوسف عليه السلام أموناً على خزائن مصر . وتلك وظيفة تعادل في أيامنا وظيفة وزير المالية ووزير التموين .

لكن لليهود ما لبثوا بعد أن أنروا وكثر عديدهم أن تغيرت أحوالهم

وخيف من نفوذهم ، فاققلب المصريون عليهم واضطهدوهم واستذلوم ،
حتى اضطروا إلى الهجرة ومعهم أموالهم التي لم يجردهم المصريون منها .
وبعد أن أقاموا في التيه أربعين عاماً ، تسلطت عليهم فسكره الفتح والغزو
بأقسى أنواعهما ، تنفيذاً لأوامر التوراة التي سبق تسطير بعضها . ومنها الأمر
الديني بالهجوم العنيف على « أريحا » ، وتقتيل الرجال والنساء والأطفال
ونهب الأموال .

وبعد أن استتب لهم الأمر في أرض كنعان غضب عليهم ملوك
الأشوريين والبابليين والرومان ، وثنيين كانوا أو مسيحيين ، فكيف
اختص هؤلاء الملوك بني إسرائيل بالعسف والتشريد دون باقي رعاياهم ؟
وكيف استمر اليهود في الشعب والعنف ، حتى انتهوا إلى أن استلموا السيد
المسيح الإسرائيلي المولد والنشأة ، وفعلوا به ما شاءوا من ضروب القسوة
والانتقام ، لأنه أراد تصحيح عقيدتهم ، فمذبوه وصلبوه كما يقرر الإنجيل
أو شبه لهم بعد رفعه إلى السماء كما يقرر القرآن .

والذين هاجروا من اليهود إلى الجزيرة العربية ، كان مسلكهم مع
النبي محمد عليه السلام وصحبه غير كريم ، فإنهم أسرفوا في الدس والوقعة
ونقض العهد ، وتواطأوا على اغتياله والقضاء على دينه ، وهو دين توحيد
كدينتهم . بل إنهم تحالفوا مع الوثنيين من عرب الجزيرة على قتال

المسلمين وإبادتهم ، مفضلين عبادة الأوثان على الإسلام ، وحاصروا المسلمين في المدينة في غزوة الخندق بمجموعهم وأحزابهم التي جمعت بين الوثنيين واليهود ، ومن هؤلاء قبائل بني قَيْنُقَاع ، وبني النَّضِير ، وبني قُرَيْظَةَ كما سبق القول . بل إن اليهود — كما يروى التاريخ — قد افتروا على النبي الأحاديث لم يقلوها ، وشحنوا بها بعض الكتب حتى خاف المسلمون على الأحاديث النبي أن يشوبها تشويه وتلفيق ، فعمد الفقهاء إلى التثبت من الصحيح منها بعد عناء شديد ، وتبليت أفكار المحدثين والأئمة بسبب تلك « الإسرائيليات » التي لم يفكر المسيحيون في ارتكاب مثلها . والذي شجع اليهود على هذا الدس ، أن الأحاديث النبوية جُمِعت بعد وفاة النبي بروايات الصحابة وتابعيهم . وأكاد أجزم أن القرآن نفسه لو لم يكن مسجلاً بجانب حفظه في الصدور ، وثابتاً بالإجماع لأقدم اليهود على دس آيات فيه غريبة عنه ، ولأفسدوا على المسلمين عقيدتهم . لكن الله قد حفظها وأنزل في كتابه الكريم : إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ^(١)

* * *

أما في أوربا فإن اليهود لم يرجعوا فيها عما رسموه لأنفسهم نحو المسيحيين ،

(١) سورة الحجر .

فقد نهطوا في تلك البلاد وفضلوا إلى أرق المناصب ، وجمعوا المال الكثير من التجارة والبيوت المالية ، وراحوا الأوربيين في أرواقهم ، وتدخلوا في السياسة لأغراض خاصة في نفوسهم ، وتنفيذاً لبرامج وضمورها وانفقوا عليها . ولما ضاق الأوربيون بهم ذرعاً ، قسوا عليهم وطاردهم ، وتوالت عليهم أنواع التعذيب ، ومصادرة الأموال في بعض بلاد أوربا ، حتى اضطروا إلى الهجرة تهاجراً ، وما زال صدق الخطاهم في روسيا وبولندا ورومانيا وألمانيا وغيرها يرن في الأذان . ولم يرجع اليهود إلى البلاد التي هاجروا منها إلا بعد أن ظهر التسامح في المصور الأخيرة ، وأعفوا من القيود التي كانوا يربطون فيها ، كتحريم امتلاكهم العقار ، ومزاوتهم الزراعة أو الصناعة ، وكانت هذه القيود عامة في إيطاليا وفرنسا وبولندا ورومانيا وإنجلترا وأمريكا وغيرها .

ويلاحظ أن اليهود لم يستقوا في فرنسا رسمياً إلا في سنة ١٧٩٠ ، وفي إيطاليا إلا في سنة ١٨٧٠ ، وفي ألمانيا إلا في سنة ١٨٧١ ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية إلا في سنة ١٨٨٧ ، وكانت إنجلترا أبداً الحكومات في إصدار تشريع بالمساواة التامة بين اليهود وسائر المواطنين . إلى أن كان آخر مظهر لهم من مظاهر الحرية في سنة ١٨٩٠ وما يزال

«القوم هناك يكرهونهم ويخشونهم إلى الآن . كما نلاحظ الحملات العنيفة التي أجراها موسوليني وهتلر على اليهود في هذا القرن ، وخاصة حملات «هتلر» وما ذكره من أسباب لها في كتابه «كفاحي» وغيره .

ولا نريد أن نرجع إلى الوراء ونذكر أن اليهود لا قوا في أسبانيا مثلاً أيام محاكم التفتيش ألواناً من الاضطهاد والأذى والتقتيل ، إلى أن أصدرت أمرها في سنة ١٤٦٢ بطرد الباقي منهم .

وإنصافاً للحقيقة نقرر أن شيئاً من هذا لم يحدث لليهود في بلاد العرب والمسلمين . بل إن هذه البلاد كانت مأوى وملاذاً لهم ، يلجئون إليها إذا ضاقت بهم بلاد أخرى ، فقد لجئوا بعد محنتهم في أسبانيا إلى تركيا ، وخاصة مقدونيا ، كما لجئوا إلى البلاد العربية ، ولم يلقوا في جميع بلاد المسلمين شيئاً من الاضطهاد الإجماعي الذي حلَّ بهم في البلاد الأخرى ، تلك التي ظهرت بها جماعات كثيرة ، تدعو إلى محاربة اليهود ، وتدعى بأنهم شعب خطير عليهم وعلى الإنسانية ، وتعتبرهم فئة أصبحت بقوة الذهب ذات نفوذ كبير وتضامن خطير ، سولت لها نفسها أن تؤذي البلاد التي تؤويهم في شئونها الاقتصادية والمالية والاجتماعية ، بل وفي شئونها الدينامية والوطنية ، فضلاً عن اختلافها في الدين والعادات والتقاليد .

هل يفكر المسيحيون والمسلمون في إنقاذ أنفسهم؟

عرفنا مما سبق أن اليهود خاصوا سيدنا عيسى وطاردوه ، وارتكبوا معه من البشاعات الشيء الكثير . وقام الحواريون من بعده بنشر دعوته ، واعتنقت المسيحية أمم كثيرة ، فلا غرابة أن يحقد اليهود على هذا الدين الذي أصبح عالميا . ثم ظهر الإسلام وانتشر فسكان البدو الثاني . فلما خرب الاستعمار البلاد الإسلامية وقضى على ثقافتها وازدهارها واستقلالها ، وقام الغرب المسيحي بنهضته المعروفة رجع حسد اليهود بأقوى درجاته إلى عدوهم الأول وهو المسيحية . وقامى المسيحيون منهم ما قاسوا ، من أعمال مست إقتصاديات بلادهم وطمأنينتها وسياستها ، فبطشوا باليهود وأزاحوهم عن مجتمعاتهم ، وطردوا الكثير منهم . فكان لابد لليهود من أن يجعلوا هدفهم الأول حماية أنفسهم بضم صفوفهم ، واكتناز الذهب والفضة ، والانتقام من المسيحية بتشكيلات سرية خطيرة . وبعد أن ينتهوا من عدوهم الأول يسهل عليهم السيطرة على المسلمين الذين حرموا أخيرا من القوة والعلم والتضامن .

فهل لنا أن نرجو أن يفهم المسيحيون هذه الحقائق ؟ وأن يتعاونوا مع

المسلمين لندره هذا الخطر المشترك . فان المسيحيين إن لم يدركوا هذه الحقائق ،
ويصونوا أنفسهم ، ويتعاونوا مع المسلمين معاونة الصديق للصديق ، والند
للند ، فسينزل بهم اليهود — بفضل نشاطهم وتشكيلاتهم ، وراثتهم
وتضامتهم وأحقادهم — الشر المستطير .

ولقد أزاح كثير من المسيحيين الستار عن نوايا اليهود نحوهم ، وطالبوا
ولاية أمورهم باليقظة ، وأبأنوا لهم الخطر اليهودي المهدق بشعوبهم .
ونحن نورد هنا — فوق ما قلنا — بعض الأساليب الصهيونية حتى
يدرك الغافلون مآلهم إذا ظلوا سادرين في غفلتهم .

الماسونية اليهودية

إن اليهود لاعتقادهم بسمو عنصرهم وسمو دينهم ، واحتقارهم لأى دين آخر ، وإنكارهم لدين عيسى ودين محمد ، وعلمهم أن المسيحيين هم الذين أجزلوهم قديماً عن فلسطين ، واستذلوهم بعد ذلك فى بقاع الأرض التى يسيطرون عليها ، أرادوا أن يضموا لأنفسهم المسكنة اللاتقة بثرائهم ونشاطهم ، ويفقدوا تعاليم التوراة التى ذكرنا طرقاً منها ، والتى تنص كذلك على وجوب تأديب الشعوب وإخضاعها والإنقام منها ، كما جاء فى المزمور ١٤٩ .

« ليتتهج الأتقياء بمجد ليرتجوا على مضاجعهم . تنويهاً الله فى أفواههم ، وسيف ذو حدين فى يدهم . ليصنعوا نقمة فى الأمم وتأديبات فى الشعوب . لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكهول من حديد . ليجروا بهم الحكم المكتوب » .

ولأن دينهم — كما أوضحنا — يحضهم على امتلاك البقاع من الفرات إلى النيل ، ولأنهم قلة مشتتون فى الأرض . رأوا تكوين هيئة سرية عالمية ، تعمل دائبة لتحقيق أغراضهم . وقد بجحوا فعلاً فى إقامة الماسونية

تبحث شعار خلاّب هو « الأخاء الانساني » لا الديني ولا الوطني ، يهدفون من ورائها إلى محو العقيدة الدينية وهدم الشعور الوطني .

فالماسونية تقضى على العقائد الدينية ، بادعائها أن الأديان سبب تأخر الأمم . وقد وصلت بمساعيها إلى بذور بذور الالحاد في روسيا ، حتى قامت حكومتها تقول : إن الأديان أفيون الشعوب ، وممثلة لهضاتها ، ونفذت تلك التجربة في روسيا فقامت فيها ثورة سنة ١٩١٧ الدامية ، وكان لليهودية فيها أقوى الأثر مما يذكره التاريخ .

والماسونية تسمى أيضاً إلى هدم الشعور الوطني باعتباره منافياً للشعور الانساني في زعمهم . ومتى تم ترويض الضعفاء من المسيحيين والمسلمين على هذا المذهب — مذهب الانسانية كما يقولون — بعيداً عن الدين والوطنية فقد بلغت الماسونية غايتها . والأيام تشعرنا بتغلغل المذهب اللاديني واللاوطني ، في أمم لم تفهم ما ترمى إليه الصهيونية . وقد جعلوا للماسونية مراتب ثلاثاً :

أولها — « الماسونية السكونية » وهي أرقاها ، وأعضاؤها من اليهود الفلّاحين ، يدعون بالحسكاء ، ويرأسهم الطيب تكيم الأعظم ، وهي مصدر السلطات لجميع المحافظ الماسونية . ولا يعرف أحد أعضائها أو مركز نشاطها .

وثانيتهما — « الماسونية الملوكية » المعروفة « بالمقد الملوكي » وأغلب أعضائها من اليهود ، ويطلق عليهم الرفقاء ، ولا يسمح لغير اليهود بالانتساب إليها ، إلا لمن ثبت إخلاصه في عضوية الماسونية الرمزية ، وحاز فيها الدرجة ٣٣ لخدمات أداها .

وثالثتها — « الماسونية الرمزية » ، ويدخلون فيها معهم من يقع في شباكهم من اتباع الديانات الأخرى ، ويبقى فيها خاضعاً مخلصاً لا يعرف شيئاً من أعمالها وأهدافها ، سوى قيامه بطقوس وحركات لا يفهم مغزاها ، وقائعا بألفاظ الأخاء الانساني والحرية ، متوهماً أن هدف الماسون خدمة الانسانية .

وجميع طقوس هذه الماسونية ، ورموزها ، وألبستها ، وأوشحتها ، وأوسمتها — يهودية بحثة مأخوذة عن مراسم وشعائر يهودية . وتتخذ الماسونية أعضائها من غير اليهود مطايا لبلوغ مآربها في مصالح الحكومات والشركات ، وجميع المؤسسات والهيئات ، تحت مظهر الإخاء المزعوم .

تلك هي الأحبولة الكبرى التي وقع في شراكها كثير من المسيحيين والمسلمين ، في جميع بقاع الأرض ، ومنهم ملوك وأمراء ووزراء وساسة ،

وعلماء ورجال أعمال، ووجهاء وموظفون، فالمسيحي أو المسلم يدخل الماسونية: وأغراضها الظاهرة إنسانية بحتة، فلا يراجع نفسه: لم تكون هذه الهيئة سرية؟ ولم يكون عمل الخير سرياً؟ ولم الرموز والأوسمة والدرجات؟. ثم يروّض هذا الدخيل، حتى إذا فسدت عقيدته الدينية والوطنية وأصبح مطية طيعة للماسون رفعوه إلى درجات عالية، وأغدقوا عليه الأوسمة والألقاب، إلى أن يحوز الدرجة ٣٣ ولا يعتمداها، ثم يسمون في رفع شأنه في المجتمع، ويعملون له الدعاية، حتى ينال مركزاً في حكومته ويوجهونه وأمثاله من الأذلة العظماء إلى ما فيه مصلحة الصهيونية. ونجم عن هذا تنفيذ مآرب اليهودية خطيرة في إدارات الحكومات وسياساتها، وانفساح المجال للتجسس اليهودي، وإثارة الفتن والحروب.

فالماسونية إذن تهدم الشعور الديني والوطني في المسيحيين والمسلمين، وهؤلاء المساكين لا يعلمون أن الشعور الديني والعنصري عند اليهود أقوى شعور وأشد، وهو ليس شعور دفاع عن كياناتهم فحسب، وإنما هو شعور يرمي إلى إذلال الأمم المسيحية والإسلامية، وتفكيك الأواصر بين بنيها. وهي تتخذ في كل أمة وسائل تتفق وعقليتها. ووضعها الاجتماعي.

والاقتصادي والثقافي ، ولا ترمى مع اختلاف الأساليب إلا إلى غاية واحدة هي كما قلنا : تخطيم من عداهم من « الجوييم » .

ولا يمكن تحديد تاريخ قيام الماسونية تحديداً قاطعاً ، لكن المؤكد أنها قامت من زمن بعيد ، وأن أغراضها كانت أولاً تزال ضد المسيحيين أولاً ثم ضد العالم أجمع ، ذلك بأن اليهود يهدفون إلى تقويض النظم القائمة ، وإقامة دكتاتورية يهودية عالمية .

ولقد فطن بعض رجال الدين المسيحي ورجال السياسة إلى أمور أثارت دهشتهم ، وطبعت في نفوسهم فكرة قيام جمعيات سرية لأغراض هدامة .

من ذلك ما كتبه الكاردينال « كونسالفي » وزير خارجية قداسة البابا « بيوس » السابع من الفاتيكان إلى الأمير « مترنيخ » الوزير الأول للدولة النمساوية في ٤ يناير سنة ١٨١٨ ، إذ يقول :

« ليست الأمور على ما يرام في أي مكان ، وإني أرى يا عزيزي للأمير أننا أصبحنا نعتقد أننا في محل من اتخاذ بعض الاحتياطات ، وإني بهذا أبحذر كل يوم سفراء أوروبا من الأخطار المقبلة التي تدبرها الجمعيات

السرية ضد النظام الذي أعهد بضمومية إلى سيرته الأولى ، وإني ألاحظ
أن الشفراء يقابلون تحذيراتي بعدم الاكتراث ، وراحوا يتصورون أن
اللكرسي البابوي سرعان ما ينتابه الخوف ، مستخفين بنصائحنا التي توحى
بها الحيلة .

وأضاف الكردينال : « إني إذ أتوجه إلى الدول العظمى إنما أتجرد
تماماً من أية منفعة شخصية ، وإني أنظر إلى المسألة من ناحية أبهى ،
وأنه لمن الخطأ عديم التفكير في هذه المسألة من الآن ، لأنها لم تصبح بعد
— إن صح القول — ملكاً للرأي العام (كان ذلك عام ١٨١٨)
وسيندم لعدم مواجهتها بحزم بعد فوات الفرصة »^(١) .

وتقرن هذه الشبهات ضد الجمعيات السرية الهدامة بما جاء في خطاب
الرياني « ريشبورين » في براج عام ١٨٤٩ : أمام قهراً أحد كبار الريانيين
« سيودون بن يهودا » إذ قال :

« لنُدفع بالمسجونين إلى الحرب ... إذ بالذهب والملق سنسكب
إلى صفنا العمال ، وهم الذين سيملحون بالرأسمالية المارقة . وإننا سنهدد العمال

(١) راجع رسالة « بدائيات » بالفرنسية للسيدة ماريا كريستينا جوستينياني بانديني
طبعة روما سنة ١٩٥١

..بأجور لم يحملوا بها قط . ولسكننا سنرفع كذلك أسعار الحاجيات . وبهذه الطريقة سنسعد العدة للثورات التي يقوم بها « الكفار » أنفسهم ، والتي سننجي ثمارها . وعند الساعة المحددة مقدما سنضرم الثورة التي بقضائها على كافة الطبقات المسيحية سنضع المسيحيين تحت إمرتنا^(١) .

ونضيف أن « أدولف كريمييه » رئيس التحالف الإسرائيلي العالمي كتب في مجلة « أرشيف إسرائيلية » عدد ٢٥ سنة ١٨٦١ قائلا : « لا بد للوطنيات من الاندثار ... أما إسرائيل فلا يجب أن تختفي » . كما نضيف أن اليهودي « رينيه جرو » اعترف في مجلة « نوفومير كبير » عدد مايو سنة ١٩٢٧ بأنه « توجد مؤامرة يهودية ضد جميع الأمم » .

* * *

و بمقارنة هذه التصريحات بعضها ببعض وبكثير غيرها ، مما يضيق المقام عن سرده ، رأى بعض المشتغلين بالسياسة العالمية أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين أعمال الماسونية العالمية ، وبين الثورات المتعاقبة التي قامت في فرنسا في مارس سنة ١٨٤٨ ثم اتسع نطاقها مع توالى السنين ، فقامت في فرنسا

(١) من خطاب أبلته اليهودي « لاسال » ونشره السير « جون ريد كليف » في مجلة كنتيمبوران في أول يوليو سنة ١٩٠٣ .

ثورة سنة ١٨٧١ ، وفي البرتغال سنة ١٩٠٥ ، وفي تركيا سنة ١٩٠٥ ، وفي الصين سنة ١٩١١ ، وفي روسيا سنة ١٩١٧ ، وفي المجر وألمانيا سنة ١٩١٨ ، وفي إسبانيا سنة ١٩٣٦ .

وقد اشتدت الحال ، وتفاقت الدسائس إلى أن أوصلت العالم إلى الحرب العالمية الأولى ، ثم إلى الحرب العالمية الثانية . وليست تلك المصائب سوى سلسلة تدبيرات جهنمية ، ترجع في أصولها إلى ينبوع واحد ، وتهدف إلى غرض واحد ، هو إلقاء العالم في جحيم مستعمر يقضى عليه ، ويقوم على أنقاضه نظام تهدف إليه الماسونية اليهودية ، بقيام دولة عالمية صهيونية ، أساسها الذهب والفتن والاضطرابات .

وكتب الدكتور لويس أرنت وهو من أكثر يهود فيفا اعتدالا :
« واليهود إذا ما أحسنوا ولو قليلا البقاء متحدين أصبحوا من القوة بحيث لا يمكن لأحد أن يحول دون تخريبهم الدول وشل التجارة ، ووقف جميع الأعمال . ولما كانوا مفتشرين على وجه الأرض ففي وسعهم أن ينزعوا الثقة من أية دولة بحيث تمرقل دواماً عن المضي في عملها^(١) » .
لهذا كله صدر مرسوم بابوي رقم ٦٨٤ بتحذير الكاثوليك من

(١) راجع رسالة بدائيات سابقة الذكر .

الإشتراك في الهيئات السرية ، والمجربة ، والمشتبه فيها . وهذا يقاولة
الماسونية نظماً .

فهل لي بعد ذلك أن أطالب الحكومات العربية والإسلامية بتحريم
الماسونية ، وما تفرع عنها تجريباً باتاً ، كما فعلت قدامية البابا وطراناه هنا ،
صيانة للمعائذ والشعوب .

أندية الروتارى

لم يكتف اليهود بالماسونية السرية ، رغم أنها تتشكل فى البلدان بأشكال مختلفة، تبعاً لطلبات كل بلد ونظمه الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، بل أقاموا هيئة أخرى علنية منفصلة عنها ، تؤدي بعض مهامها تحت ستار الأخاء الانسانى أيضاً ، وسموها «أندية الروتارى» . وتعتقد هذه الأندية فى العواصم والمدن الكبرى . والغرض الظاهرى منها هو النظر فى الشؤون الاجتماعية والاقتصادية بإلقاء المحاضرات والخطب ، والعمل على التقارب والتعارف بين أتباع الأديان المختلفة والبلدان المتعددة . أما الغرض الحقيقى منها فهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى ، فيكون الأخاء والود ، وينمحي بذلك سوء التفاهم الدينى والعنصرى عند غير اليهود . وبذلك يصلون إلى جمع المعلومات التى تساعد فى تحقيق أغراضهم ، اقتصادية كانت أو صناعية أو سياسية . وتلك مهمة غاية فى الدقة والبراعة . ولقد فطن الفاتيكان إلى خطر هذه الأندية كما فطن من قبل إلى خطر الماسونية . فصدر مرسوم من المجلس الأعلى المقدس بتاريخ ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٠ قرر فيه السكرادلة «دفاعاً عن العقيدة وعن الفضيلة عدم (م — • فلسطين)

السماح لرجال الدين بالانتساب إلى الهيئة المسماة بقادى الروتارى ، وعدم الاشتراك فى اجتماعاتها ، وأن غير رجال الذين مطالبون بمراعاة المرسوم رقم ٦٨٤ الخاص بالجمعيات السرية والمحرمة والمشتبه فيها .

قرارات حكماء صهيون

بعد أن اتسمت أعمال الماسونية ، وكثرت فروعها ، وتعددت محافلها فى كثير من أنحاء الأرض . وتسفل اليهود إلى إدارات الحكومات والمؤسسات المالية والتجارية ، وارتفع بعضهم إلى مناصب الوزارة فى كثير من الدول ، ضجت منهم الأمم الأوربية وخاصة الشرقية منها كروسيا وبولندا ورومانيا ، فظهرت حركة عداوة ومطاردة لهم ، تصحبها أحياناً مصادرات لأموالهم ، حتى اضطر كثير منهم إلى النزوح عن تلك البلاد ، وأخذوا يبثون شكواهم مما لاقوه من عسف وجور ، مستعينين فى ذلك بصحفهم ونشرياتهم وإخوانهم ، وبالحفافل الماسونية المنبثة فى الأرض وفيها كثير من المسيحيين والمسلمين . ثم عقدوا مؤتمراً عاماً لهم فى مدينة (بال) بسويسرا عام ١٨٩٧ برئاسة الصحفي النمساوى « تيودور هرتزل » الزعيم اليهودى ، باعث الصهيونية الحديثة ، والذي له أكبر الأثر فى جمع كلمة اليهود حول فكرة إقامة وطن يهودى له كيانه واستقلاله .

. ونظاية الصهيونية الرجوع إلى (أورشليم) عاصمة ملك سليمان والاستيلاء عليها ، وإقامة مملكة لليهود تمتد من الفرات إلى النيل كما ذكر في التوراة . والصهيونية مشتقة من كلمة صهيون ، وهو تل من تلال أورشليم . وتطلق على أورشليم نفسها من قبيل إطلاق البعض على الكل . واليهود يقدسونه ويترنمون بكثرة في مزاميرهم . ومنها ما جاء في الزمور ٨٧ ونصه :
« ... الرب أحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب .
قد قيل بك أجداد يا مدينة الله ... » .

وفي مؤتمر « بال » المذكور اجتمع أعضاء من يهود العالم ، وشرحوا الوسائل التي يصونون بها أنفسهم ، ويستعيدون بها مجدهم ودولتهم . وودّعت محاضر جلساتهم ، وحفظت مع تقارير حكائهم — التي لا يعرف من وضعها ولا متى وضعت ، كما لا يعرف إن كانت وضعت في وقت واحد ، أو في أوقات متفرقة — إنما الذي يهمنا أن هذه التقارير أصبحت دستورا مقدسا لدى اليهود جميعا يعملون بوجوه ، ويسرون على منهاجه .

ويحتفظ اليهود بتقارير حكائهم هذه في مخايب سرية لا يعرفها غير الخاصة من زعمائهم . وقد عثرت سيدة مسيحية على نسخة من هذه التقارير وصلت إلى الكاتب الروسي الكبير « سرجيوس نيلوس » سنة ١٩٠١ .

وفي السنة نفسها أعلن « تيودور هرتزل » زعيم الصهيونية فيما أذاع من منشورات إلى الصهاينة من قبل لجنة العمل الصهيوني أنه رغم ما بذله من توصيات قد افتضح لسوء الحظ أمر بعض تلك القرارات السرية ونشرت في غير وقتها .

ظهرت أول نسخة من هذه القرارات (البروتوكولات) مطبوعة باللغة الروسية سنة ١٩٠٢ ، ثم ترجمت إلى كثير من اللغات الأخرى ، في ألمانيا وإنجلترا وفرنسا وغيرها ، فأخذ اليهود يتصلون من تبعاتها لما أحدثته من أثر عميق في الناس . وتحتوي هذه القرارات (البروتوكولات) أربعة وعشرين فصلا ، يمكن الرجوع إلى نصوصها كاملة في كتب نشرت بلغات مختلفة^(١) ، كما جاء ملخص هذه القرارات في بعض الكتب^(٢) .

ومما يثير الدهشة أن حكاء صهيون لم يكتفوا في قراراتهم بالنص على أخذ فلسطين ، ولا على فرض سلطانهم من القرات إلى النيل ؛ بل نصت قراراتهم على وجوب تخطيط العالم بوسائل شرحوها ، حتى يتسنى للصهاينة .

(١) كتاب قرارات حكاء صهيون بالفرنسية طبعة برنار جراسيه .

كتاب الخطر اليهودي بالعربية للسيد خليفة التونسي

كتاب المؤامرة اليهودية على الشعوب بالعربية ترجمة الخوري أنطون عيسى

(٢) كتاب الصهيونية والفاشية للسيد عبد الرحمن ساني عصمت .

السيطرة عليه ، وإقامة دكتاتورية يهودية تستعبد كل من فيه . وأول أهدافهم تقويض الدول المسيحية والقضاء على سلطان المسيحيين .
وهذه خلاصة تلك القرارات :

القرار الأول :

ينص على أن سياسة اليهود إزاء الجويم (أى غير اليهود) يجب أن تقوم على العنف والإرهاب ، حتى يتمكن اليهود من حكم العالم ، وأن قوة القانون ما هى إلا القوة الوحشية مقدّمة ، وعليه فقانون الطبيعة أن الحق للقوة ، وأن الحرية السياسية ليست حقيقة وإنما هى فكرة ويجب أن يسخرها اليهود لاجتذاب العامة ، وأن أزمة الحكومة التى تخضع لقانون الحياة ستقبض عليها يد جديدة تحل محل الحكومة التى أضعفتها التحررية ، وأن قوة الجمهور العمياء لا تستطيع البقاء بلا قائد . وأن فكرة الحرية لا يمكن تحقيقها بعد أن طغت سلطة الذهب على الحكام المتحررين ، كما قد مضى الزمن الذى كانت فيه الديانة هى الحاكمة ، وأن السلطة اليهودية الماسونية لا تقهر ، وستقع الدول فى قبضة اليهود ، وسيمد الاستبداد المالى إلى الدول عوداً لا مفر لها من التعاقب به لإيقاد نفسها .

ويحض هذا القرار على العمل لتسكون الشعوب في يد فرد يمكن به قيادتها ، وإزالة الأرستقراطية المسيحية الواهنة ، وإفساد نواب الأمم ، وحكامها ، والعمل على القضاء على سلام الأمم وتضامنها وطامأنيتها ، وتقويض دعائم حكوماتها . ويقرر أن نشر المشروبات الروحية والفحش من أسباب انحلال الحكومات القائمة ، وأن الحرية والإخاء والمساواة إن هي إلا ألفاظ جوفاء .

القرار الثاني :

يقرر أن الحروب الاقتصادية هي أساس السيادة اليهودية ، ويحض على وجوب وجود مستشارين يهود أكفاء ، بجانب الحكومات الظاهرة ، كما يحض على الترويج للمذاهب الهدامة وضرورة نجاحها . وينوّه بأهمية الصحافة ، وأهمية الذهب ، وقيمة الضحايا اليهود .

القرار الثالث :

يحض على بث الرعب في قصور الحاكمين . والعمل للوصول إلى السلطة . ويلفت إلى أهمية توزيع النشرات ، والتسلط على أعضاء البرلمانات ، واستعباد الأمم اقتصاديا . ويحض على تكوين جيش ماسوني يهودي ،

ودفع المسيحيين إلى الانحلال ثم الجماعات ، والتمهيد لظهور وترويج الحاكم العالمي اليهودي ، وينوه إلى أسس البرامج للمدارس الماسونية القومية في المستقبل ، ويحض على السعى في خلق الأزمات العامة مع تأمين اليهود ، والعمل على أن يكون استبداد الماسونية تحت سيطرة العقل ، ويتحدث عن العلاقة بين الماسونية والثورة الفرنسية الكبرى ، ويذكر أن الملك المستبد إنما هو من دم صهيوني ، ويعدد الأسباب التي تحفظ قوة الماسونية ومهمة وكلاء الماسونية السريين . ويتكلم عن الحرية وكيف تكون في ظل الصهيونية .

القرار الرابع :

تكلم عن المراحل المختلفة للجمهورية . وعن الماسونية الظاهرة . وعن الحرية وطرق تحطيم عقيدة المسيحيين . وعن المزاوجة الدولية في التجارة والصناعة . وعن أهمية المضاربات . وعن عبادة الذهب .

القرار الخامس :

تكلم عن كيفية تركيز سلطة الحكومة . وعن الوسائل التي بها تتحكم الماسونية في العالم . وعن الأسباب التي تحول دون اتفاق

الحكومات . وعن حماية اليهود . وعن أن الذهب هو محرك الإدارة في
الحكومات . وعن احتكار التجارة والصناعة . وعن أهمية حملات
المعارضة والانتقاد . وعن الخلافات التي تولد المتاعب والوسائل التي تمكن
من اكتساب الرأي العام . وعن الحكومة العليا اليهودية .

القرار السادس :

تكلم عن الاحتكار . وعن أن ثروة المسيحيين ناجمة عن الاحتكارات .
وعن ارسقراطية ملاك الأراضي . وأعاد الكلام عن التجارة والصناعة
والمضاربات . وتكلم عن الترف وأسبابه . وعن ارتفاع أجر العامل ، وارتفاع
أثمان الحاجات الضرورية . وعن الفوضى والسكر . وعن الغايات السرية
من الدعاية للنظريات الاقتصادية .

القرار السابع :

تناول الأسباب التي تدعو إلى زيادة التسليح . والعمل على إثارة
الخواطر وخلق الاضطرابات ، وإثارة البغضاء في العالم . والقضاء على
مقاومة المسيحيين بإثارة الفتن بينهم وإشعال الحروب العنيفة . وذكر أن

كتمان السر بين اليهود هو ضمان النجاح في السياسة اليهودية . وتكلم عن الصحافة والرأى العام ، وعن المدافع الأمريكية واليابانية والصينية .

القرار الثامن :

تكلم عن الموظفين والمساعدين في النظام الماسونى المقبل . وعن الاقتصاديين والماليين . وكيفية الاختيار في الوظائف العليا للحكومة اليهودية المقبلة .

القرار التاسع :

تكلم عن بث المبادئ الماسونية في تعليم الأمم وعن دكتاتورية الماسون . وعن إشاعة الرعب بين الحكام والعامة . وعن الذين يخدمون الماسونية . وعن القوة العاقلة ، والقوة العمياء للدول المسيحية . وعن الحكم المطلق الحر . وعن السيطرة على التعليم والتربية . وعن تفسير القوانين .

القرار العاشر:

تكلم عن ضرورات السياسة وتعميم الاضطهاد بين الأمم . وعن الانقلاب الدولى الماسونى المنتظر . وعن الانتخابات العامة . وعن أقطاب الماسونية ، وعن سموم الحرية الفردية . وعن أن الدستور هو أساس

تطاحن الأحزاب . وعن التاريخ الجمهورى . وعن أن رؤساء الجمهوريات هم صفائح الماسونية . وعن مسئولية رؤساء الجمهوريات . وعن استخدام الرؤساء ذوى الشهرة والضمير الملوث من غير اليهود ، ليكونوا منفذين . لرغبات الماسونية . وعن العمل الانتقال بالعالم إلى الحسك الماسونى المطلق . ووقت المناذاة بالملك اليهودى العالمى .

القرار الحادى عشر :

تكلم عن برنامج الدستور الماسونى . وبعض تفصيلات عن الانقلاب المنتظر وقال عن المسيحيين : إنهم خراف . وتكلم عن الماسونية السرية ، وعن محافلها الظاهرة .

القرار الثانى عشر :

تكلم عما تقصده الماسونية من كلمة (حرية) . وأنها « هى حق عمل ما يبيحه القانون » . وعن مستقبل الصحافة فى الدولة الماسونية ومراقبتها وعن وكالات الأنباء وعن كيفية تقدم الماسونية . وعن تضامن الماسون فى الصحافة الحديثة . وعن عصمة النظام المقترح .

القرار الثالث عشر :

تسكلم عن الحاجة إلى الخبز اليومى ، وأنها تكره غير اليهود على الخضوع والذلة . وعن الشؤون السياسية والصناعية . وعن الترفيه واللهو وشغل الناس بهما . وعن بيوت الشعب . وذكر أن الاحتياج إلى الخبز اليومى هو الذى يسكت المسيحيين ، ويجعلهم خداما للعاسونية . وغير ذلك من أساليب الضغط والسيطرة .

القرار الرابع عشر :

تسكلم عن ديانة المستقبل وقال « إننا متى وصلنا إلى الحكم فأننا لن نعترف بأى دين سوى دين إلهنا الأوحد الذى ارتبط به حفظنا ، والذى يتقرر به حفظ العالم ومصيره ، لهذا وجب علينا أن نمحو كل العقائد . وإذا كان هذا العمل يخلق الملحدين المعاصرين ، فإن هذه المرحلة المؤقتة لا تقف عقبة أمامنا ، بل ستكون مثلاً للأجيال المقبلة ، التى ستستمع إلى تنبؤاتنا نحو ديانة موسى التى ستعم الشعوب كافة » .

القرار الخامس عشر :

تنبأ بانقلاب عالمي يوما ما ، وبحكومة حكماء اليهود المركزية .
وبانتشار المحافل الماسونية وذكر أن الماسونية هي الموجهة لكافة الجمعيات
السرية ، وأنها سلطة مطلقة . وتكلم عن الذهب العالمي ، وعن مظهر الحكومة
الديني في المستقبل ، وأن حق الأقوى هو الحق الأوحد . وأن ملك إسرائيل
سيكون بطريك العالم .

القرار السادس عشر :

تكلم عن التعليم وكيف يكون في حكم الماسونية . وأبان أن الجامعات
أصبحت عقيمة . وتكلم عن إعلان سلطة الحاكم في المدارس ، وعن إلغاء
التعليم الحر . وعن النظريات الحديثة ، وعن حرية الفكر والتعليم
بالتصوير . وكشف عن التصميم على إلغاء الجامعات ، وإحلال نظام فكري
جديد محلها . وأن رؤساء الجامعات وأساتذتها سيزودون سراً ببرامج سرية
ومفصلة لا يمكنهم الخروج عليها ، ويختارون بتدقيق شديد ، ويكونون
خاضعين للحكومة ، وسيحذفون من التعليم الحقوق المدنية وكل ما يتعلق
بالمسائل السياسية ، فإن تلك الأشياء لا يتلقاها إلا حفنة من الأشخاص ،

تختارهم الكليات العليا . وأن لا تمكن الجامعات من تخرج أناس يعملون على إيجاد مشاريع دستورية ، كأنهم يعملون على إخراج ملهاة أو مآس ، ويشغلون أوقاتهم بمسائل سياسية لم يققها آباؤهم من قبل ولم يعلموا عنها شيئاً الخ .

القرار السابع عشر :

تسكلم عن المحاماة . وعن نفوذ رجال الدين غير اليهودي . وعن حرية العقيدة . وذكر أن ملك اليهود سيكون بطريكاً وباباً . وبين وسائل الكفاح ضد الكنائس الحالية ، ومسائل الصحافة المعاصرة وطريقة تنظيم رجال الشرطة والمتطوعين فيها . وتكلم عن الجاسوسية وفق نظام الجمعيات اليهودية ، وعن إساءة استعمال السلطة .

القرار الثامن عشر :

تسكلم عن وسائل الأمن ، ومراقبة الفتن ، وعن أن الحراسة الظاهرة للملك هي تفويض للسلطة ، وعن حراسة ملك اليهود .

القرار التاسع عشر :

تسكلم عن حق تقديم المقترحات ، وعن الجرائم السياسية التي تقضى فيها المحاكم .

القرار العشرون :

تسكلم عن البرنامج الاقتصادي والضريبة التصاعدية ، وأوراق التمتع والنقد وعن ديوان المحاسبة ، وحبس رموس الأموال . وإصدار العملة والمقايسة بالذهب والميزانية وقروض الحكومة وسندات الصناعة . وقال عن ملوك المسيحيين ومنذوبهم أنهم كانوا ستاراً لدسائس الماسونية .

القرار الحادى والعشرون :

تسكلم عن القروض الداخلية والضرائب وصناديق الادخار . وعن الدخل . وإلغاء بورصة الأوراق المالية وعن الضريبة على سندات الصناعة .

القرار الثانى والعشرون :

تسكلم عن حالة السلطة وعبادتها الروحية . وقال « إن الوقت قريب والحوادث الماضية تنبئ بمستقبل سيحقق . وقد أخبرتكم بسر علاقاتنا

مع المسيحيين وبسر أعمالنا الاقتصادية بما لا يحتاج إلى مزيد . وفي أيدينا أقوى سلطة وهي الذهب ، ويمكننا في يومين أن نسحبه من خزائنا بأكثر كمية ترضيكم . ولنا حاجة إلى التأكيد بأن حكومتنا قد قضى بها الله ، وأن الأمن سيستتب بشيء من العسف . وأنا سيمكننا أن نثبت أننا أولياء النعم . نحن الذين أسدينا إلى العالم المضطرب الخير الحقيقي ، وحرية الفرد الذي سينعم بالهدوء والسلام ، وبحسن الروابط بشرط أن يراعى القوانين التي نصدرها . »

القرار الثالث والعشرون :

تكلم عن إنقاص إنتاج أدوات الترف وعن الصناعات الصغيرة ، وعن البطالة ومنع السكر ، والقضاء على الهيئات القديمة ، وإعادة تسكينها على نظام جديد ، وتكلم عن الحاكم المختار من الله ، وأنه بعد القضاء على المجتمع القديم سيرتفع عرش ملك إسرائيل ، وسينتهي بذلك أسر العالم القديم .

القرار الرابع والعشرون :

تسكلم عن أسلوب صيانة دولة اليهود ، وأن أعضاء من نسل داود. سيعيدون ويربون الملوك وخلفاءهم ، الذين ينتخبون لمواهبهم الخاصة ، وأن. خطط المستقبل لن تسكون معروفة إلا للملك والثلاثة الذين درّبوه ، وأن. ملك اليهود لا يمكن تناولة بالنقد أو المؤاخذه بأى حال .

* * *

كان لنشر ترجمة هذه القرارات من الروسية إلى لغات العالم دورى عظيم ، أحدث هزة كبرى فى الأوساط الأوربية والأمريكية ، وعلقت عليها صحف كثيرة من بينها جريدة « التيمس » كبرى صحف لندن ، فقد نشرت مقالات فى ٨ مايو سنة ١٩٢٠ وفى ١٦ و ١٧ و ١٨ أغسطس سنة ١٩٢١ أوضحت فى أولها أن اليهود نظموا — منذ أجيال — تدبيراً سياسياً عالمياً يحمل بين طياته البغض التقليدى الشديد للمسيحيين . كما نشرت جريدة « المورننج بوست » — وهى من أشهر صحف لندن — فى عددها الصادر فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٢١ مقالاً ، ذكرت فيه أن ما تضمنته قرارات

حكاء صهيون هو الوسائل التي حطمت ويمكن أن تحطم الأمبراطوريات
الكبرى .

من هذا كله ندرك بغير عناء أسباب قيام الثورة الروسية الكبرى
في سنة ١٩١٧ وقتل القيصر نيقولا الثاني سنة ١٩١٨ ، ووقوع روسيا
في أيدي اليهود وفرضهم النظام الشيوعي عليها ، وقضائهم رسمياً على الدين
المسيحي هناك ، واعتبارهم الأديان جميعها أفيوناً للشعوب ، وكذلك ندرك
أسباب جعل الشيوعية مذهباً تحت اسم «السكرامفورم» ، تبشر به روسيا
لتجذب الطبقات الفقيرة ، كي تصل عن طريقها إلى هدم النظم الاقتصادية
والسياسية والاجتماعية القائمة في العالم .

عود إلى مؤتمر (بال)

إن مؤتمر « بال » أهمية عظمى في تاريخ اليهود . ويعتبر بحق المرحلة الفعلية للوثبة الصهيونية الكبرى . ذلك أنه بعد أن اشتدت وطأة الاضطهاد على اليهود وبخاصة في أوروبا الشرقية ، روسيا وبولندا ورومانيا ، وبعد أن هاجر كثير منهم من تلك البلاد . أخرج « تيودور هرتزل » كتاباً يدعو فيه إخوانه اليهود في العالم كله إلى التضامن والكفاح ، ليتسنى إقامة دولة صهيونية لها كيانها واستقلالها . ثم انعقد هذا المؤتمر في مدينة « بال » بسويسرا — كما ذكرنا — وتكرر انعقاد المؤتمرات الصهيونية في سويسرا وغيرها ، وانتشرت أخبارها في الصحف . ثم خطا « هرتزل » وأعداه خطوات جديدة لتحقيق مآرب اليهود . وبما قام به أنه عرض على سلطان تركيا السماح لليهود بالمهجرة إلى فلسطين وتملك الأراضي فيها ، مع استعدادهم لدفع مبلغ كبير من المال مقابل ذلك . فأبى السلطان عبد الحميد السماح لهم بما طلبوه . فولوا وجوههم نحو إنجلترا ، وكان لهم فيها نفوذ كبير ، إذ كان فيها من اليهود كبار رجال المال ، وأخصهم اللورد روتشيلد عميد اليهود هناك ، وكثير غيره من الوزراء والكتاب والصحفيين والنواب .

وكان من أثر ذلك أن أرسل وزير خارجية إنجلترا في سنة ١٩٠٣ إلى اللورد كروس عميدها في مصر، أن يساعد اليهود على استثمار شبه جزيرة سيناء^(١). وبمعنى آخر أراد وزير خارجية بريطانيا الأمين على مصر، اقتطاع جزء كبير من أرضها ومنحه لليهود، دون التعاقبات إلى « مصر » صاحبة البلاد. ولم يكن الإنجليز وقتئذ سوى محتلين، أتوا إليها لتأييد عرش الخديوي، وأعلنوا أنهم سيغادرونها بعد استتباب الأمن فيها.

نفذ « كروس » أمر وزارة خارجية بريطانيا. ورضى أن يقطع هذا الجزء الكبير من مصر، ويهبه لليهود. كي يتمكنوا من إقامة مستعمرة أو دولة يهودية فيه. وقام الخبراء من إنجليز ويهود بمعاينة « سيناء » واختيار للمواقع التي تصلح لاستثمار اليهود. لكنهم رأوا صعوبة في ربيها واستثمارها فرفض اليهود امتلاكها. وهنا يقول الدكتور « حاييم وايزمان » في مذكراته. وهو خليفة هرتزل في زعامة اليهود. وأول رئيس لجمهورية إسرائيل — إنه بأسف لرفض اليهود استثمار سيناء، وكان من رأيه قبول استثمارها وتوطنها، لتكون نقطة يرتكز عليها اليهود في الوثوب مستقبلا إلى جارتها فلسطين.

(١) مساحة « سيناء » تبلغ (٨٢) ألف كيلو متر مربع. وهي أكبر من مساحة « سورية » وتزيد على ثلاثة أمثال مساحة فلسطين، وعلى ثمانية أمثال مساحة « لبنان ».

وبعد هذا الرفض ، عرض الإنجليز سنة ١٩٠٤ على اليهود استعمال جزء في شرق إفريقيا (أوغنده) . مع العلم بأن هذه المنطقة كانت تحت حماية مصر في عهد إسماعيل بمقتضى معاهدة أخفاها الإنجليز كما يشهد التاريخ .

وهكذا كان حظ المصريين مع الإنجليز إبان الاحتلال . فإنهم أرادوا أن يهبوا لليهود « سيناء » وهي من أرض مصر ، ثم « أوغنده » من بعد ذلك ، وكانت تابعة لمصر . ثم انتهوا أخيراً إلى أن وهبوهم فلسطين العربية ، والتي لا يتلصكونها ، بعد طرد أهلها وتشريدهم ، كما سنبين ذلك .

الحرب العالمية الأولى

شبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ، وانضم الأتراك إلى الألمان في هذه الحرب ضد بريطانيا وحلفائها . وكان سلطان تركيا — كما نعلم — هو خليفة المسلمين . وكانت البلاد العربية — العراق وسوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين وشبه الجزيرة العربية واليمن — تحت سلطانه . وكان المفروض أن هذه البلاد تشد أزره ، وتعاونه ضد بريطانيا وحلفائها . وتخضع لما يأمر به السلطان . لكن الأمور لم تجري على هذا النحو . وكانت السلطنة العثمانية هي وحدها المسؤولة عن تفكك أوصال الإمبراطورية وضيق العرب بحكمها . والدليل على هذا أن السلطنة العثمانية كانت إلى عهد السلطان عبد الحميد إمبراطورية أنوقراطية ، يحكمها السلطان وحاشيته ، وقد أهملت هذه السلطنة مقوماتها ، من عدل وعلم وفن وإنتاج ، وجعلت من العرب أمة مهينة الجانب لا شأن لها في إدارة حكم نفسها ، وحرابت اللغة العربية ، وجعلت التركية هي اللغة الرسمية في مصالح البلاد جميعها . ولقيت الشعوب العربية كل عسف وجور ، بل إن الشعب التركي نفسه قاسى من حكامه أكثر من العت والجور . فساد الجهل والفقر أجزاء

الإمبراطورية بما فيها الأقاليم التركية . وانتشر الظلم والرشوة . كما انتشر الفساد والمحسوبية وامتهنت كرامة الرعايا ، وحرم عليهم الإفصاح عن آرائهم ، فلا تسكتب جريدة ولا يصدر مؤلف إلا بإرادة السلطة العليا وفق أهوائها . إلى أن اندلعت الثورة التركية ، وبعدها أعلن الدستور في سنة ١٩٠٨ . وقامت الحياة النيابية ففرحت كل شعوب الإمبراطورية بهذه الخطوة المباركة ، أملوا في أن يقوم حكم ديموقراطي سليم . ولكن ما لبثت تلك الأفراح أن ذهبت ، إثر قيام جمعية الاتحاد والترقي ، وتسلبها زمام الأمر في الدولة ، فقد كان اتجاهها اتحاد العنصر الطوراني (التركي) ، وتمييزه على العنصر العربي ، فأحس العرب بسوء مصيرهم وهوان شأنهم ، فغضبوا ، وكونوا جمعيات سرية وعلمية ، تطالب بحرية العرب وبإشراكهم في إدارة شؤون بلادهم . وكما طالبوا أيام عبد الحميد بشيء من الاستقلال الداخلي ، طالبوا بهذا أيضاً أيام جمعية الاتحاد والترقي ، وهي مطالب حاربتها السلطة المركزية في الأستانة بكثير من العنف والعسف . ونجم عن ذلك مهاجرة كثير من أحرار العرب إلى بلاد أخرى ، أخصها مصر التي كانت ملاذ الأحرار من مسيحيين ومسلمين . كما فر كثير منهم إلى أوروبا بصفة عامة ، وباريس بصفة خاصة . وألقوا هنا وهناك

جميعات سرية وعلنية ، كما أصدروا صحفًا ومؤلفات فيها الكثير ضد الإدارة التركية .

ولقد ذهبت إلى الأستانة سنة ١٩٠٩ ، مع صديقي المرحوم محمد فريد رئيس الحزب الوطنى المصرى ، ونفر من أصدقائنا لتقديم التهنئة للأتراك بدستورهم الجديد . وهناك دهشت حين رأيت بعض الضباط من العرب — ومن بينهم زميلى القديم فى المدرسة الخديوية الثانوية الضابط عزيز المصرى — يشكون مرًا الشكوى من سوء معاملة جمعية الاتحاد والترقى . وكانوا أشد ما يكونون ألمًا لما يلقونه من إهمال شأنهم وعدم الثقة بهم . وقد كونوا من بينهم تشكيلة سرية تسعى لجمع صفوفهم ، والدفاع عن عنصرهم ومركزهم الاجتماعى ، وحقهم فى العمل لرفع شأن بلادهم العربية .

وعلمت فيما علمت أن كثيرين من زعماء العرب أهينوا وشردوا وعذبوا لاجترائهم على المطالبة بحرية بلادهم واستقلالها ذاتيًا فى دائرة السلطنة العثمانية ، مع استعدادهم للدفاع عن السلطنة والولاء لها .

وبعد أن رأيت ما رأيت وسمعت ما سمعت ، أيقنت أن مستقبل

الإمبراطورية العثمانية مهدد إذا استمرت سادرة في خطتها . وسينتهى أمرها حتما إلى ما انتهت إليه الإمبراطوريات القديمة التي أهملت قواعد العدل والإنصاف ، وتغاضت عن نشر العلوم والفنون والأخذ بأسباب الرقي في التجارة والصناعة والمواصلات وبث روح الأخوة بين المواطنين .

لهذا كان طبيعيا أن يتخذ العرب لهم خطة عندما شبت الحرب العالمية الأولى ، كي يتخلصوا من ربة الظلم والاستبداد . وكان الشريف حسين شريف مكة أكبر شخصية تمثل العرب حينئذ ، فاتهمز الانجليز الفرصة واتصلوا به ، وأفهموه أن اشتراكه في الحرب إلى جانب الحلفاء يحقق آماني العرب أجمعين . وعلى إثر ذلك كتب الحسين شريف مكة في ١٤ يوليو سنة ١٩١٥ إلى السير هنري مكماهون — المندوب السامي في مصر — بصفته ممثلا للحكومة البريطانية ، كتابا جاء فيه ما يأتي :

« يجب أن تعترف إنجلترا باستقلال البلاد العربية بكل معنى من معاني الاستقلال ، وتكون حدودها شمالا مرسين وأطنة حتى الدرجة ٣٧ من خط العرض ... إلى حدود فارس ، وشرقا حدود فارس حتى خليج البصرة ، وجنوبا المحيط الهندي . ويستثنى من ذلك منطقة عدن التي تبقى كما هي ،

وغربا البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى « مرسين » .

فرد عليه السير هنري مكماهون بكتاب في ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥
بما يأتي :

« نتشرف بإسداء الشكر إلى سموكم من أجل إفصاحكم عن شعوركم
الخالص نحو إنجلترا ، وإنه ليسرنا أن تكون المصالح العربية بريطانية .
والبريطانية عربية ، في رأي سموكم ورأي رجالكم ، وبهذا القصد ثبت
لكم ما جاء في رسالة اللورد كتشنر التي وصلت إليكم وهي الرسالة
التي سطرت فيها رغبتنا في استقلال العرب والبلدان العربية وأما
مسألة الحدود فيلوح لنا أنها سابقة لأوانها ، وأن وقتنا ليضيق عن البحث
في مثل هذه التفاصيل ، ونحن بعد في إبان الحرب . وفي حين أن التركي
لا يزال هو المحتل احتلالاً فعلياً ، في كثير من الأقسام الواقعة ضمن
تلك الحدود ، لاسيما وقد بلغنا — فمجبنا وأسفنا — أن بعض العرب
في هذه الأقسام ، غير مغتربين لهذه الفرصة العظيمة السانحة لهم ، بل هم
عنها صادفون ، وإلى جانب الألمان بسلاحهم واقفون ، وما الأول
إلا سألهم الجديد ، وما الثاني إلا ظالمهم العتيق » .

فكتب الشريف الحسين في ٩ سبتمبر سنة ١٩١٥ كتابا جاء فيه :
« ولكنكم يا صاحب الفخامة تصفحون فتسمعون إذ
أقول بصراحة : إن ما بدا من التواني والتردد في مسألة الحدود . باعتبار
البحث فيها في الوقت الحاضر مضيعة للوقت قد يتخذ دليلا على
فتور . أو شيء من هذا القبيل » .

فأجاب السير مكماهون في ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٥ بما يأتي :
« لقد تلقيت كتابكم المؤرخ في ٩ سبتمبر بكثير من الغبطة والسرور .
وكان للعبارة الودية المخلصة التي وردت فيه أكبر تأثير في نفسي .
واني ليؤسفني انكم لاحظتم في كتابي الأخير . وحديثي عن قضية
الحدود . شيئا من الفتور والتردد مع أني لم أقصد ذلك . بل كنت أود
أن أقول إن الوقت لم يحن بعد للبحث فيها بحثا منمرا .

« وقد أدركت من كتابكم الأخير أنكم تعلقون أهمية كبرى على
قضية الحدود . وأنكم تعتبرونها من المسائل الحيوية . فأرسلت مضمون
كتابكم إلى الحكومة البريطانية . واني ليسرني أن أرسل إليكم البيانات
التالية . التي أثق كل الثقة بأنها ستفوز برضاكم » .

« إن سنجق سرسين والاسكندرونة وبعض الأقسام السورية الواقعة .

في غرب سناجق دمشق . وحمص . وحماه . وحلب لا يمكن أن يقال.
عنها إنها عربية محضة . ولذلك يجب أن تستثنى من الحدود المقترحة » .

« ونحن نوافق على تلك الحدود مع التعديلات المشار إليها أعلاه .
على ألا تنفذ شئنا من معاهداتنا الحالية مع الزعماء العرب . أما الأراضي
التي تستطيع إنجلترا العمل فيها بملء الحرية . ودون أن توقع أضرارا بمصالح
حليفها فرنسا . فقد خولت باسم حكومة بريطانيا العظمى أن أعطيكم
التأكيدات التالية بشأنها ، وأن أجيب على كتابكم بما يلي :

« ان إنجلترا مستعدة على أساس التعديلات المشار إليها أعلاه أن.
تعترف باستقلال العرب ضمن البلاد المشمولة في الحدود والنخوم التي
اقترحها شريف مكة ، وأن تؤيد ذلك الاستقلال . وتضمن بريطانيا
العظمى حماية الأراضي المقدسة من كل اعتداء خارجي . وتعترف بأنها
مصونة من كل تعد . وتقدم بريطانيا إرشادها للعرب عندما تسمح الحالة.
بذلك . وتساعدهم على تأليف شكل الحكومة التي يلوح أنها أفضل.
الأشكال في مختلف البلاد العربية المذكورة .

واني لعل ثقة بأن هذا التصريح يجعلكم أبعد ما تكونون عن الشك
في عطف بريطانيا على آماني أصدقائها العرب منذ القدم ، ويؤدي حتما إلى

تحالف وثيق أبدي . سيكون من نتائجها المباشرة طرد الأتراك من البلاد العربية . وتحرير العرب من النير التركي الذي كان ولا يزال يثقل أعناقهم منذ أعوام » .

ولما كان هذا الخطاب عهدا من الحكومة البريطانية للعرب ، مؤيدا مطالبهم في الحدود التي اقترحتها شريف مكة ولم يخرج منها إلا ما كان مرتبطا بمصالح فرنسا وقد سبق أن طلبت هذه في السنة نفسها أن يكون لها وحدها حق الرقابة على سوريا — فقد أبان هذا العهد من بريطانيا أنها تكفلت باعطاء التأكيدات فيما يختص بالأراضي التي تستطيع العمل فيها بحرية . ودون أن توقع أضرارا بمصالح حليفها فرنسا . .

وبناء على هذا العهد الصريح الذي لاشك فيه ولا لبس . والذي يدخل فلسطين حتما في دائرة المملكة العربية المستقلة ، أجاب الشريف الحسين بالقبول بكتاب في ٥ نوفمبر سنة ١٩١٥ جاء فيه :

« حبا في تسهيل الاتفاق . وفي تأديته خدمة للأسلام . نرجع عن اصرارنا على ادخال ولاية مرسين واطنه في المملكة العربية . أما ولايتا حلب وبيروت وسواحيهما البحرية فانها ولايتان عربيتان صرفا . ولا فرق هناك بين مسلم ومسيحي عربي لاننا لعلم أن حفظنا من هذه الحرب

قد يكون نجاحا يضمن للعرب حياة تليق بماضيهم . أو هلاكا في سبيل إدراك هذه الغاية . ولولا ما أعهد من توطد غرائم العرب على إدراك هذه الغاية لآثرت العزلة على رأس جبل . ولكن العرب هم الذين ألحوا أن أتولى توجيه النهضة إلى هذه الغاية والله المسئول أن يطيل بقاءكم ، ويتولى نصركم ، وهو مأمولنا ورجاؤنا »

فكتب السير هنري مكماهون كتابا في ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٥ إلى الشريف الحسين جاء فيه :

« يسرني انكم توافقون على إخراج ولاية مرسين وأطنة من حدود الأقطار العربية وبخصوص ولايتي حلب وبيروت فقد أخذت حكومة بريطانيا العظمى علما بملاحظاتكم . انما لما في الأمر من مصالح لحليفنا فرنسا . فالمسألة تستدعي تبصرا دقيقا . وسنوجه اليكم في حينه مذكرة أخرى في هذا الصدد » .

فأجاب الشريف الحسين في يوم رأس سنة ١٩١٦ بكتابه النهائي بما يأتي :

« أما الأقسام الشمالية وسواحلها فقد ذكرنا في كتابنا السابق أقصى ما أمكن من التعديلات . وذلك كله انما كان من أجل .

إنجاز تلك الأمانى التى يشوقنا نيلها باذن الله سبحانه وتعالى . وهو هو ذلك الشعور نفسه الذى حدا بنا إلى تجنب ما يخشى أن يضر بالتحالف بين بريطانيا وفرنسا . وبالاتفاق المبرم بينهما فى هذه الحرب وويلاتها . لسكننا نرى من الواجب علينا أن نؤكد للوزير الخطير أننا فى أول فرصة تسنح بعد نهاية الحرب سنطلب منكم ما نصرف عنه أعيننا اعتباراً من اليوم، ونتركه الآن لفرنسا فى بيروت وسواحلها .

فكتب السير هنرى للشريف يقول :

« تلقيت أمراً من حكومتى لأعلمكم أن جميع مطالبكم مقبولة ... » وعلى إثر ذلك أعلن شريف مكة والعرب الحرب على تركيا فى ٩ يونيو

سنة ١٩١٦ .

وكان من نتيجة هذه المفاوضات أن اللجنة الوطنية السرية فى سوريا قررت فى سنة ١٩١٥ رفض ما عرضته عليها الحكومتان العثمانية والألمانية من الوعد بالاستقلال . واعتزمت توحيد العمل مع شريف مكة . كما أن الأتراك قد حاولوا أيضاً أن يدخلوا مع العرب فى معاهدة منفردة ، تقوم على أساس اعتراف تركيا ، باستقلال البلاد العربية . وقد أبرق الملك حسين فى السنة الأخيرة من سنى الحرب نبأ هذا العرض إلى الحكومة

البريطانية . فأجابه وزير خارجيتها ، وكان المستر بلفور بواسطة المعتمد البريطاني في جدة ، شاكرًا له صدق ولائه ومصرحًا بما يأتي :
« حكومة صاحب الجلالة البريطانية بالاتفاق مع دول الحلفاء تؤيد عهودها السابقة ، المتعلقة بالاعتراف باستقلال البلاد العربية » .

ويفهم من رفض الشريف حسين واللجنة الوطنية السورية في سوريا ما عرضته عليهما تركيا وألمانيا أنهما كانا على ثقة تامة بوعود إنجلترا ، وإنها لا محالة منفذة تعهداتها بصدق وأمانة^(١) .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر ما كان من أثر لما ارتسكبه جمال باشا الطاغية التركي من الغفائض ضد أحرار العرب في بيروت وغيرها . فقد ساعد ذلك على إصرارهم على التخلي عن تركيا ، وعلى محاربتها .

(١) انظر تفاصيل الثورة العربية في كتاب « حلول الحركة العربية الحديثة »
للاستاذ محمد عزة دروزة . وكذلك تقرير اللجنة المسكية البريطانية برئاسة اللورد بيل
والصادر سنة ١٩٣٧ .

وعد بلفور

اطمأن العرب إلى تعهدات بريطانيا العريضة السالف ذكرها ، وأنها ستنبيلهم استقلال بلادهم بالحدود التي عرضها الشريف حسين : عدا الاستثناء الذي أتى على لسان السير مكماهون خاصاً بمصالح فرنسا في سوريا والذي كان نتيجة اتفاق سرى يعرف بمعاهدة «سيكس بيكو» سنة ١٩١٦ . وأن هذه الحدود التي اتفق عليها مع الشريف مكة تشمل فلسطين قطعاً .

اطمأن العرب إلى ما تعهدت به الدولة البريطانية ، وبخاصة بعد هذا التصريح الصادر من السير مكماهون بلسان دولته في ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٥ وفيه يقول : « إن الأراضي التي تستطيع إنجلترا العمل فيها بملء الحرية . ودون أن توقع ضرراً بمصالح حليفتها فرنسا تؤيد إنجلترا استقلال هذه الأراضي ، وتضمن بريطانيا العظمى حماية الأراضي للقدسة من كل اعتداء خارجي ، وتعترف بأنها مصونة من كل تعد » .

بعد هذا كله . وبعد أن أعلن العرب الحرب على الأتراك ، واستمروا فيها بجانب الحلفاء ، وأشعلوا في جزيرة العرب ثورة عامة عارمة ، بذلوا فيها ما بذلوا من تضحيات في الأموال والأرواح ، وكان لها أثرها الفعال —

بأعتراف بريطانيا العظمى وحلفائها — في إحرار النصر . بعد هذا كله ،
صدم العرب بإعلان تصريح من جانب الحكومة البريطانية عرف بتصريح
بلفور . وجهه المستر بلفور وزير خارجية بريطانيا العظمى إلى اللورد
روتشيلد اليهودي في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ وهو ينصه :

« ... يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالتكم التصريح
التالي ، الذي ينطوي على العطف على آماني اليهود الصهيونية ، وقد عرض
على الوزارة وأقرته .

« إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي
للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية .
« على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يفسد الحقوق
المدينة والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ،
ولا الحقوق أو الوضع السيامي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى »
وإن من ينعم النظر في هذا التصريح يدرك أن تعبيراته وكلماته الماسعة
كانت نتيجة تدبير خفي كشفت الأيام ستره وأظهرت نوايا واضعیه :

ولا يغرنك تصريح للرئيس ولسن في ديسمبر سنة ١٩١٧ أقره الحلفاء

(م — ٧ فلسطين)

بلا قيد ولا شرط وأعلنوه للعالم ، ذلك هو تصريح الأربعة عشر ميسداً
للسلم العام ، وقد جاء فيه :

« إن الأجزاء التركية من السلطنة العثمانية الحالية يجب أن تضمن
لها سيادتها التامة . أما الشعوب الأخرى (غير التركية) الخاضعة الآن للحكم
التركي ، فينبغي لها العيش بأمان واطمئنان ، وأن تتاح لها فرصة الرقي في
مدارج الحكم الذاتي ، دون تدخل أو إزعاج » .

كما لا يغرنك تصريح مشترك أعلنته بريطانيا العظمى وفرنسا على الأمم
العربية ، ومنها فلسطين في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٨ وجاء فيه ما يأتي :

« إن الهدف الذي سمعنا إلى تحقيقه بريطانيا وفرنسا عندما خاضتا
في الشرق غمار الحرب التي أثارها مطامع الألمان هو تحرير شعوبه التي
مضى عليها روح طويل من الزمن وهي تذوق الأمرين تحت حكم الأتراك .
وإقامة حكومات وإدارات وطنية . تستمد سلطتها من السكان الوطنيين
وتسير وفق رغباتهم الحرة .

« وتحقيقاً لهذه المقاصد ستقوم فرنسا وبريطانيا العظمى فوراً بتشجيع
ومساعدة إنشاء حكومات وإدارات وطنية في سوريا والعراق ، اللذين تم
تحريرهما بواسطة الحلفاء ، وفي البلاد الأخرى التي تسعى هاتان الحكومتان

لتحريرها ، وأن تعترف بأنها حين تأليفها . وهما لا تنويان قط أن تعرضا على سكان هذه الأصقاع أى شكل من المؤسسات الحكومية ، بل إن جل غايتهما أن تضمننا بما تقدمانه من المعاوضة والمساعدة الوافية حسن سير الحكومات والإدارات التي يختارها السكان أنفسهم .

ولا يغرنك — مع الأسف الشديد — ميثاق عصبة الأمم ذلك للميثاق الذي وضعه الحلفاء وتم توقيمه في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٩ وأعلنوه للأمل . وهالك نص المادة ٢٢ من الميثاق :

« إن المستعمرات والأقاليم التي قضت نتائج الحرب بخروجها من سيادة الدول التي كانت تحكمها فيما مضى ، والتي تسكنها شعوب لا تستطيع حكم نفسها في الأحوال الشاقة التي تسود العالم الحديث ، ينبغي أن يطبق عليها المبدأ القائل : أن خير الشعوب وتقدمها أمانة مقدسة في عنق المدنية . وأن تدمج في هذا الميثاق الضمانات اللازمة لحسن أداء هذه الأمانة ... الخ » .

واقدر وضع الحلفاء في ميثاقهم هذا أسساً للمدنية نبيلة هي مبدأ تقرير المصير ، وألا غنائم في الحرب ولا ضم ولا إلحاق ضد رغبات الشعوب . وأن الأمم والبلاذ لم تصبح سلعاً تباع وتشترى .

ووضعوا بدل نظام الضم والإلحاق والفتح نظام الانتداب . وهو ليس شيئاً سوى ما قررته المادة ٢٢ من أن خير الشعوب ورقياً أمانة مقدسة في عنق المدينة .

كيف ظفر اليهود بوعده بلفور؟

وضح مما سبق أن هناك فرقاً شاسعاً بين المبادئ التي أعلنها الدكتور ولسن والتزامات دول عصبة الأمم — وهي مبادئ صريحة — وبين النص الغريب المبهم الذي جاء في تصريح بلفور . فما علة هذا التناقض؟ وما السر الذي ينطوي عليه تصريح بلفور؟ وهل انتصرت مبادئ عصبة الأمم بزعامة الدكتور ولسن ، أو انكشف الغطاء فيما بعد عما يريد بلفور وشيعته من وعده الذي أعلنه لليهود وللعالم في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧؟

الحقيقة أن مبادئ الدكتور ولسن وتصريحات عصبة الأمم قد فشلت فشلاً ذريعاً ، وأن وعد بلفور قد انتهى بإعطاء فلسطين لليهود ، وبطرد

العرب أصحاب البلاد منها ، وبتدفق هجرة اليهود إليها ، وقيام ما يسمونه الآن « دولة إسرائيل » .

وهذا كله يقتضينا البحث فيما أدى إلى هذه الكارثة التي ما كنا نعرف عناصرها من قبل . وحسبي أن أسرد الوقائع الآتية :

إن لوعد بلغور أسباباً قديمة وحديثة ، وكلها متصلة الحلقات يدركها من يتتبع الحوادث ، ويفهم أغراض الماسونية اليهودية . وقد عرضنا شيئاً غير قليل مما يكشف عن أغراض الماسونية اليهودية ، كما عرضنا ملخصاً لقرارات حكماء صهيون . ونريد الآن بسط مجمل لبعض حوادث قامت في القرن التاسع عشر أو العشرين ، ليعلم من لم يكن يعلم ، تسلسل أعمال الصهيونية ، وتخلخل النفوذ اليهودي في إدارة البلاد الأوربية وغيرها . بما يثبت أن الصهيونية لا تبغى سوى العصف بحكومات الأرض ، وإقامة دولة عالمية لليهود ، تتحكم في رقاب تلك الشعوب المنحطة في نظرها . وأولها الشعوب المسيحية القوية التي تقف سداً أمام انتشار سطوتهم ونفوذهم .

... أتى وقت كانت فيه روسيا وما جاورها أشد أعداء اليهود وقد أذاقتهم الذل والمصادرة والطرده ، لما اقترفوه من قسوة في معاملاتهم مع سكان أوربا الشرقية ، وهي معاملات مالية واقتصادية . ولما خلقوه من أسباب الفوضى

والاضطرابات في تلك البلاد . فكان لابد للماسونية اليهودية من الانتقام لما أصاب اليهود من محن ، اضطرت الكثيرين منهم إلى الهجرة من شرق أوربا . واتخذوا لذلك سبلاشتي : منها قيام كارل ماركس اليهودي الألماني بنشر نظرياته المعروفة في حرب الطبقات وفي وضع مبادئ الشيوعية ، وقد اعتنقها كثير من الروس اليهود وغير اليهود ، ومن هؤلاء لينين زعيم روسيا الأكبر وكان متزوجاً يهودية . وتروتسكي الزعيم الجهنمي للشيوعية وهو يهودي لحماً ودماً ، وكثير غيرها ، قاموا بالثورة الروسية الكبرى سنة ١٩١٧ ، وباغتيال القيصر والأمراء والأعيان سنة ١٩١٨ ، كما فتكوا برجال الدين وألقوا الدين المسيحي نفسه .

ومن أغرب ما سطره التاريخ ، أن الماسونية اليهودية التي روجت للمبادئ الشيوعية ثم قامت بالانقلاب الشيوعي في شرق أوربا ، هي رأسمالية محضة في غرب أوربا ، ويحمل لواءها اللورد روتشيلد اليهودي وأضرابه .

واليهود هم الذين سعوا ونجحوا في إبرام معاهدة « برست ليتوفسك » وهي المعاهدة التي أعقبت هزيمة الإمبراطورية الروسية أمام ألمانيا في الحرب العالمية الأولى بعد واقعة « المستنقعات » الشهيرة ، التي انتصر فيها الألمان

بقيادة المارشال « هندنبرج » ، وانهزم فيها الجيش الروسى شر هزيمة ،
وانسحبت روسيا بسببها من الحرب ، وانفصلت عن حلفائها دول الغرب .
وتألفت إثر ذلك حكومة روسية برئاسة اليهودى « كيرينسكى » الذى
حلّ مجلس الدوما (البرلمان الروسى) ، وكانت حكومته قنطرة بين النظام
القيصرى والشيوعية الجراء التى قامت فى روسيا بعد ذلك .

وكما أن « لينين » زعيم الشيوعية فى روسيا كان زوجاً ليهودية ، فإن
« تروتسكى وراديك وزينوفيف » وثلاثة أرباع قوميسارى الروس كانوا
يهوداً^(١) .

وفوق ذلك كله ، فإن يهود روسيا يعترفون صراحة بأنهم هم الذين
صنعوا الثورة الروسية ، ويفاخرون بعملوا . ومن ذلك ما نشرته جريدة
تصدر بمدينة شيركوف باسم « دُرْ كُو مُونِيسْت (أى الشيوعى) » بتاريخ
١٢ ابريل سنة ١٩١٩ بقلم إسرائيل اسمه (م . كوهين) وجاء فى مقاله
ما يأتى :

« يمكن القول بلا مبالغة أن الثورة الروسية الكبرى كانت من عمل

(١) انظر كتاب قرارات حكماء صهيون بالفرنسية السالف الذكر .

اليهود، وأن هؤلاء اليهود لم يقوموا بهذا العمل فحسب ، وإنما تولوا رعاية المذهب السوفييتي . ويمكننا أن نطمئن نحن اليهود ما دامت إدارة الجيش الأحمر العليا في أيدي ليون تروتسكي^(١) .

ومن هذا يتضح أن الماسونية اليهودية كانت ذات وجهين : فهي لروسيا ، شيوعية مخربة . وهي للغرب ولأمريكا ، رأسمالية صهيونية . ولم يكن ذلك إلا تنفيذاً لقرارات حكماء صهيون ، وهي تنص بأن يكون الماسونية في كل بلد نظام خاص ، وأسايب خاصة ، كي تصل إلى تقويض العالم وإقامة دولة اليهود العالمية .



وإذا تركنا الشرق واتجهنا إلى الغرب ، نرى أن الدكتور حاييم وايزمان بعد أن مات تيودور هرتزل — اتجه إلى الغرب ، وهو روسي المولد والجنسية ، وانتهى مطافه إلى إنجلترا وتجنس بالجنسية الإنجليزية ، وأصبح أستاذاً للكيمياء في جامعة منشستر ، واتصل هناك بالزعيم الصهيوني روتشيلد ، كما اتصل بكبار رجال إنجلترا ، وتمسكن بمساعدتهم من أن يجذب إليه لويد جورج وونستون تشرشل وبلغفور وغيرهم من المسيحيين الإنجليز ، كما كان

(١) انظر المقال في كتاب الخطر اليهودي الماسوني بالفرنسية بقلم الأب جوان .

معه في خطته من الإنجليز اليهود كثيرون من العظماء والوزراء ، منهم اللورد ريدنج وهور بليشا والسير هربرت صمويل . وكان في وزارة لويد جورج وزيران يهوديان ، هما السير الفريد موند ، والأونورا بل أدوين مونتاجو ، كما كان في المجلس الاستشاري الخاص ستة أعضاء من اليهود .

سعى هذا النفر القوي في التمهيد لاستيلاء اليهود على فلسطين . وكان لليهود في تلك الأوقات أعضاء في الوزارة وفي مجلس العموم وفي مجلس اللوردات ، وكثير من رجال المال والصحافة ، كما كان لهم نفوذ كبير في الولايات المتحدة الأمريكية ، وفيها عدد منهم يقدر بالملايين . وقد تركز نفوذهم هناك في المؤسسات المالية والتجارية وسيطروا على الصحف ، وكانت قوتهم تظهر بوضوح في انتخابات رئاسة جمهورية أمريكا ، وكذلك في انتخاب حاكم ولاية نيويورك ، وكان نفوذهم ملحوظا في المحكمة العليا الأمريكية .

فلما سيطر وايزمان وروتشيلد على عقول بعض الوزراء والعظماء في إنجلترا كان لابد من وضع صيغة يملئها (بلغور) ولا يثير ظاهرها مخاوف العرب . وهنا يعترف وايزمان في مذكراته بأن المفاوضات بينه وبين الإنجليز قد استمرت زمنا طويلا ، إلى أن تم الاتفاق بوحى اليهود أنفسهم

على وضع الصيغة النهائية التي أعطاها بلفور إلى اللورد روتشيلد في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ .

ويمكننا أن نجزم أن الانجليز كانوا يتفاوضون مع الشريف حسين ، في الوقت الذي كانوا يتفاوضون فيه مع الصهيونيين ، وانتهى الأمر بوضع حلقتين متناقضتين : أحدهما لأصحاب الحق سكان البلاد وهم العرب . وثانيهما للغدر بالعرب وإقطاع اليهود أرض فلسطين .

وتعمدوا أن يكون نص وعد بلفور مبهماً مائلاً لا يدل على شيء واضح مع الاتفاق سرّاً على أن تسكون فلسطين تحت حماية إنجلترا ، ومع الوعد الخطير بمنع إقامة حياة نيابية ، وبضمان هجرة اليهود إلى فلسطين ، حتى يصبحوا كثرة يمكن معها إقامة دولة يهودية .

وبهذا سقطت مبادئ ولسن ، كما سقط مبدأ عصبة الأمم الذي أعلن للناس وهو حق تقرير المصير ، وأن « خير الشعوب وتقدمها أمانة مقدسة في عنق المدينة » III .



ثم وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني . ويقول حايم وايزمان في مذكراته : إن اليهودي الأمريكي « بنيامين كوهين » كان يتولى مع

سكرتير اللورد كيرزون — وزير خارجية بريطانيا حينذاك — وضع صك الانتداب على فلسطين والاتفاق على نصوصه .

وبعدئذ عين السير هربرت صمويل اليهودي أول حاكم عام لفلسطين من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٢٥ ، كما عين المستر « نورمان بنتوتش » اليهودي نائباً عاماً ، مسيطراً على التشريع والمحاكم . وعين كذلك حاييمسون اليهودي مديراً لدائرة الهجرة . وعين غير هؤلاء كثيرون من اليهود في المناصب الرئيسية ، حتى أصبحت فلسطين محكومة فعلاً باليهود .

وفتح الإنجليز الباب على مصراعيه للهجرة ، كما قامت الوكالة اليهودية بزعامة روتشيلد وغيره بشراء الأراضى ، على ألا يعمل فيها أى عامل عربى ، وكل بقعة من الأرض يشتريها اليهود يطرد العمال العرب منها ، ليحل محلهم عمال من اليهود .

وضح الخفاء بمجرد وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى . ولم يخف زعماء اليهود ما كان مييقاتهم وبين الإنجليز . فقد صرح السير « الفرد » اليهودى (لورد ميلنتشت) سنة ١٩٢٢ « بأن اليوم الذى سيعاد فيه بناء الهيكل أصبح قريباً جداً . وأنه سيكرس ما بقى من حياته لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى » .

كما صرح المستر جابر تنسكى زعيم الصهيونيين الإصلاحيين أمام لجنة « شو » سنة ١٩٢٩ بأنه ينبغي صراحة أن تشجع الحكومة البريطانية الاستعمار اليهودى تشجيعاً فعلياً ، كي توجد في البلاد أكتثية يهودية .
وصرح الزعيم اليهودى « زينكويل » بقوله « . . . وما على العرب إلا أن يهدموا خيامهم ، ويرحلوا إلى الصحراء من حيث أتوا » .
ونشر المستر (بنتوئيش) اليهودى — والذي كان رئيساً للنيابة العمومية في فلسطين — كتاباً طبعه في لندن سنة ١٩١٩ أسماه « فلسطين اليهود » مع ملحق له أسماه « إنقاذ بلاد يهوذا » جاء فيه كلام كثير مشير للشعور تقتبس منه ما يأتى :

« ولكن لا هذا ولا ذاك (أى الصلوات) يحددان بناء الهيكل (محل البراق الشريف) — إنما أبناء الجيل الذين سيقومون بهذا .
والذين يعتقدون أن العمل هو الصلاة الحقيقية سينزلون في القدس ويسكنونها . وهم ينتظرون قيام « قورش » جديد و « نحميا » جديد ، يشقان الطريق لاستعادة المكان المقدس الطاهر لليهودية (وهو المسجد الأقصى) » .

وقد نشر اليهود من الخرائط والرسوم أنواعاً كثيرة ، منها صور
للحرم الشريف ، وقبة الصخرة ومكان البراق ، وقد وضعوا عليها جميعاً
شعارهم القومي والديني ، وكتبوا عليها كتابات بالعبرية ، تثير العواطف
وتؤلم النفوس ، رأيتها بنفسى وقدمتها إلى لجنة التحقيق في قضية
البراق . وكل هذا يدل دلالة أكيدة على أن القوم مصممون على انتزاع
فلسطين من أهلها ، واغتصاب كل مقدسات العرب مسيحية كانت
أو إسلامية .



للإهود أن يفكروا كما يشاءون ، وأن يحاولوا اغتصاب ما يريدون .
لكن البلاء الأعظم أن يتواطأ المسيحيون من الساسة البريطانيين مع
الصهيونية . فلقبده جاء في تقرير اللجنة الملكية بفلسطين (لجنة اللورد
بيل) لسنة ١٩٣٧ ، ما يفضح الأمر ، ويثبت الحقيقة المرة ، والتواطؤ
المعيب .

جاء فيه أن المستر « ونستون تشرشل » وزير المستعمرات سنة ١٩٢٢ ،
أصدر بياناً في شهر يونيه من السنة المذكورة عن السياسة البريطانية
في فلسطين يقول فيه « ألا ضرر من تكوين طائفة لليهود في فلسطين .

وأن تنمية الوطن القومي فيها ، لا تعنى فرض الجنسية اليهودية على أراضي فلسطين إجمالاً . بل زيادة نمو الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين في أنحاء العالم . حتى تصبح مركزاً يكون فيه للشعب اليهودي برمته اهتمام وفخر من الوجهتين الدينية والقومية ... الخ » .

وقد اعتبر المستر ونستون تشرشل وزير المستعمرات أن هذا هو تفسير حكومة جلالاته لتصريح بلفور الصادر في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ . ثم جاء في تقرير اللجنة المذكورة ما يأتى :

« وقد اعتبر هذا التفسير للوطن القومي في بعض الأحيان أنه يحول دون إنشاء دولة يهودية . غير أنه وإن كانت عباراته قد وضعت في قالب يرمى إلى تخفيف خصومة العرب للوطن القومي بقدر الاستطاعة ، ليس فيه ما يمنع من إنشاء دولة يهودية في النهاية . وقد قال لنا المستر تشرشل نفسه ، عند ما أدلى بشهادته أمامنا ، أنه لم يكن يقصد الحيلولة دون إقامة دولة كهذه . وقد اشتركت الجمعية الصهيونية في هذا الرأي . وصرحت لجننتها التنفيذية أن هذه الجمعية ستسير في أعمالها على أساس سياستها المبسطة هنا ، وأن السبب الذى حال دون الإشارة إلى الدولة اليهودية في سنة ١٩٢٢ (أى في بيان المستر تشرشل) هو عين السبب الذى حال

دون الإشارة إليها في سنة ١٩١٧ (أى في تصريح بلفور) . فلقد كان الوطن القومي مجرد تجربة » .

ثم يأتي في تقرير لجنة بيل أيضاً ما يلي :

« ومن الواضح على كل حال أنه لم يكن في استطاعة حكومة جلالته أن تتعهد بإنشاء دولة يهودية ، بل كل ما كان في وسعها عمله هو أن تتعهد بتسهيل نمو (وطن) . أما نمو هذا الوطن نمواً كافياً ، وتطوره إلى درجة يصبح معها دولة ، فذلك أمر يتوقف في الدرجة الأولى على حماسة اليهود وعزيمتهم . وقد قال لنا المستر لويد جورج الذي كان رئيساً للوزارة في ذلك الحين ، في معرض الشهادة :

« لقد كانت الفكرة ألا يعتمد في معاهدة الصلح ، إلى إقامة دولة يهودية فوراً ، دون الرجوع إلى رغبات أكتثية السكان . وهذا هو التفسير الذي فسر به التصريح في ذلك الحين . ومن الجهة الأخرى كان في النية أنه متى حان الوقت لمنح فلسطين مؤسسات تمثيلية (أى برلماناً) ، ووجد أن اليهود قد اغتنموا الفرصة التي تبيحها لهم فكرة الوطن القومي ، وأصبحوا في غضون ذلك يؤلفون أكتثية السكان ، فعندئذ تصبح فلسطين دولة يهودية » .

من هذا وضع الخفاء ، وصار معنى إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين هو العمل على تكوين دولة يهودية ، لا وطن روى كما كانوا يقولون . ولهذا كانت مساعدة الهجرة لتكوين اليهود من أن يكتسحوا فلسطين ، ويمتلكوا أراضيها . وهذا هو السبب في مخالفة ميثاق عصبة الأمم . وعدم إعطاء فلسطين حكمها الذاتي إلى أن يتمكن اليهود من الحصول على الأكرية وتكوين دولتهم .

وجاء في تقرير لجنة « بيل » أيضا ما يأتي :

« فرغبة الزعماء العرب الملحة في الحصول على الاستقلال القومي في سنة ١٩٣١ هي نفس الرغبة التي كانت تملكهم سنة ١٩٢٠ . والسبب الرئيسي في اتخاذهم الموقف العدائي من الوطن القومي في سنة ١٩٣١ كما كان في سنة ١٩٢١ اعتقادهم بأن هذا الوطن قد سد الطريق دون تحقيق تلك الرغبة . وقد يغيب عن البال أحيانا أن وفداً عربياً يترأسه رئيس اللجنة التنفيذية العربية قدم إلى لندن في مارس سنة ١٩٣٠ ، وهو الشهر الذي نشر فيه تقرير « لجنة شو » وأن العرب حسب الخلاصة الرسمية للمحادثات ، التي جرت بين أعضاء الوفد ورجال الحكومة ثرحوا قضيتهم في أثناء هذه المحادثات ، لا فيما يتعلق بشراء الأراضي والمهاجرة فحسب ، ولكن

في مسألة الحكم الذاتي أيضا ، وأن جواب الحكومة لهم كان يدور حول النقطة الأخيرة . وهذا ما جاء في الخلاصة الرسمية بصدد ذلك :

« لقد قيل للوفد إن التغييرات الدستورية الشاملة التي طلبها لا يمكن قبولها بالسككية ، لأنها تجعل القيام بالتزام حكومة جلالته حسب صك الانتداب مستحيلاً . وقد أوضح أنه لا يمكن البحث في اقتراحات لا تنفق مع مقتضيات الانتداب . وبما أن تنفيذ رغبات الوفد العربي بخصوص الحكم الديمقراطي يجعل قيام حكومة جلالته بمسئولياتها كدولة منتدبة على فلسطين مستحيلاً . وبما أنه بالرغم من الشرح والتأكيدات الممطرة من قبل وزراء جلالته لم يتمكن الوفد أن يرى سبيلاً لتعديل موقفه ، فقد أصبح من الواضح أنه لا فائدة ترجى من مداومة البحث في هذه المسألة »^(١)

وبما يوجب الأمل أن مؤتمرات عربية انعقدت في القدس أيام الانتداب البريطاني ، وتقرر في أحدها إقامة جامعة عربية هناك أسوة بالجامعة اليهودية التي ساهمت بريطانيا في إنشائها من قبل ، وتنفيذاً لقرار المؤتمر سافرت مع سماحة مفتي فلسطين الأكبر السيد محمد أمين الحسيني

(١) راجع أيضاً كتاب (قضية فلسطين) تأليف السيد نجيب صدقه ، وكتاب قضية فلسطين العربية ، وضع الهيئة العربية العليا .

إلى «عمّان» ، ومنها عبر الصحراء إلى بغداد ، فأكرم المغفور له الملك فيصل الأول وحكومته وفادتنا ، وتسكّوت هناك لجان لجمع شيء من المال تحت رعايته . وبعد أن أقمنا في بغداد خمسة عشر يوماً . وفي البصرة يومين في ضيافة حكومة العراق ذهبنا بالباخرة إلى مدينة كراتشي أيام الحكم البريطاني ، فوصلنا إليها في ١٥ مايو سنة ١٩٣٣ .

أقمنا في شبه القارة الهندية نحو خمسة أشهر ، جئنا فيها خلالها في فصل الصيف المحرق ، وسعينا في تكوين لجان من مسلمي الهند تستولي على ما يجمع من تبرعات وترسله إلى مصرف في فلسطين دون أن يكون لنا أي تدخل في جمع التبرعات ، فإننا قررنا أن نكون دُعاة لا محصلين .

ولقد قوبلنا بالحفاوة والتسكريم في تلك البلاد ، وتألّفت من كبار القوم وأثريائهم لجان لجمع التبرعات ، ووعدنا الأمراء والوزراء والأغنياء بالاعون والتأييد ، ودعانا نائب الملك وحكام الإمارات من إنجليز وغيرهم إلى مآدب رسمية وغير رسمية — لكننا بعد أن قضينا شهوراً عدة لم نلاحظ تنفيذاً لما وُعدنا به من قبل — وكنا في حيرة من هذا التناقض ، إلى أن أطلعنا كبير مسئول على كتاب رسمي سرّي من السلطة البريطانية إلى المسؤولين في البلاد ؛ مفاده أن رجال الوفد الفلسطيني هم من العظماء الذين

يجب حُسن استقبالهم والحفاوة بهم ، اسكن جمع المال لمشروعاتهم يتعارض
وسياسة حكومة جلالتهم في فلسطين . . . ويسهل على القارىء بعد هذا
أن يعرف النتيجة المحتمومة لمشروع تعليمي إنساني تراه بريطانيا معارضا
لسياسة انتدابها على فلسطين .

* * *

وهناك مسألة أخرى — نوهنا عنها في المقدمة ولا بد من تفصيلها —
تدل على اندفاع بريطانيا في العمل لتسكين دولة إسرائيل قبل أن يحتضنها
ترومان .

ذلك أن المؤتمر البرلماني العالمي للبلاد العربية والإسلامية قرر كما سبق
القول تأليف لجنة منى ومن ثلاثة من أعضاء المؤتمر البارزين للذهاب إلى
انجلترا ، كي تمنع ولاية الأسر بعدم الاسترسال في مناهضة العرب ، فذهبت
مع زميلي السيد خليف الزمان والسيد عبد الرحمن صديقي بالباخرة إلى انجلترا
عن طريق فرنسا ، على أن يلحق بنا في انجلترا السيد الكبير فارس الخورى
عن طريق دمشق — استامبول . وكما كانت دهشتنا عظيمة عند ما أبرق
إلينا من استامبول بمنعه من مواصلة السفر بترقية أفهمتنا تدخل انجلترا
للهيولة بينه وبين استمرار سفره . وليست هذه هي العقبة الوحيدة التي

وضعها الإنجليز أمام هذا الوفد . فإنا بعد أن وصلنا لندن وطلبنا مقابلة رئيس وزرائها ووزير خارجيتها ، أخبرنا بعدم إمكان مقابلة أحد من رجال الحكومة البريطانية لوفد من المؤتمر العربى بصفة رسمية ، وكانت حجبتهم أن مجلس الوزراء قرر قبل بضعة أيام قراراً بشأن فلسطين لا يمكن العدول عنه ، ولا المناقشة فيما يخالفه .

وهذه هى عقبة ثانية أقامتها إنجلترا فى وجه الوفد .

لم أر إزاء هذه الحالة سوى أن ألبأ إلى سفير مصر هناك ، وقد كان الدكتور حسن نشأت ، الذى أكرم وفادتنا مدة إقامتنا ، وسعى لدى ولاية الأمور حتى أخبروه بإمكان مقابلتى بمفردى وبصفة غير رسمية كعضو فى مجلس الشيوخ المصرى ، وأن تكون المقابلة مع وزير المستعمرات وكان وقتئذ مستر « ملسكولم ماكدونالد » نجل مستر رمزى ماكدونالد رئيس الوزارة السابق . ورفضت الحكومة مقابلة العضوين الآخرين .



وأمام هذه الحالة وباتفاق مع زميلى رضيت بمقابلة وزير المستعمرات بصفة شخصية على أقدمه بشىء فى مصلحة فلسطين . وكان ذلك فى خريف سنة ١٩٣٨ بوزارة المستعمرات .

وتلقاني الرجل بكل ترحاب واحترام ، ومكثت معه زمناً ليس بالقصير عرضت فيه حق فلسطين في معاونة إنجلترا لها ، كما ذكرت له أن مصلحة إنجلترا نفسها مادياً وأدبياً أن تسكون في جانب العرب ، أصحاب الحق ، وهم ملايين كثيرة في بقاع متلاصقة ، ويمكن أن يكونوا يوماً ما عضداً للسلام العام ، ونصيراً للحكومات التي تسعى في حرية الأمم ومنها إنجلترا . وأذكر أني أدليت إليه بما يفيد أن اليهود يسمون لمصلحتهم ، غير ناظرين إلى مصلحة غيرهم ولو كانت إنجلترا ، وأن على إنجلترا أن تختار أحد أسرين : إما سواعد الملايين من العرب ، وإما ذهب اليهود . فابتسم وودعني أحسن توديع ، بعد أن دعاني لسماع خطاب له عن فلسطين يلقيه بعد يومين أو ثلاثة في مجلس العموم . وفي الغد أعطاني أحد نواب الإنجليز تصريحاً بحضور مجلس العموم فذهبت في الموعد المضروب ، وأجلسوني وحدي في شرفة ممتازة ، ورأيت في الشرفتين المجاورتين عدة أشخاص أيقنت أنهم من كبراء اليهود . وأتى دور وزير المستعمرات فتكلم كلاماً مستفيضاً تحدوه الفصاحة واللباقة ، وكله يرمى إلى الرغبة في التوفيق بين مصالح العرب ومصالح اليهود ، وليس فيه سوى البلاغة والتطمين ، دون إبداء أي رأي إيجابي محدد . وانتهى الأسر على ذلك وكانت هذه هي

الملاحظة الثالثة التي أخذتها على السياسة البريطانية .

أقينا في لندن أكثر من أربعين يوماً ، نسعى في بث الدعاية . وكان لفلسطين مكتب هناك ، قابلنا فيه مراراً مكاتب الصحف الكبرى في إنجلترا مثل التايمز والديلي تلغراف وغيرهم . كما لقينا فيه بعض كبار الإنجليز من سيدات ورجال ، ورأيت ممن قابلناهم عطفاً ظاهراً على عرب فلسطين ، لم أتمالك بسببه من الجهر للحاضرين بأن الشعب البريطاني أفضل عندي من الحكومة البريطانية . وانتهت رحلتنا كما ترى على غير ما نرجو بفضل السياسة التي كانت تنتهجها بريطانيا في تلك الأوقات .

أظهرت الحوادث التي سبقت وعسد بلفور ، والتي عاصرتها ، والتي أعقبته ، الأسباب التي دعت إلى صدوره . كما أوضحت اللثام عن المعنى المقصود من ألفاظه . فقد ثبت من أقوال اليهود أنفسهم ، ومنهم الدكتور حايم وايزمان « أن اليهود كانوا في مداولات مستمرة مع كبار رجال الإنجليز ، ومنهم بلفور وتشرشل ولويد جورج واللورد كيرزون . وكان يناصر الدكتور « حايم وايزمان » في مفاوضاته لفييف من اليهود الإنجليز

أمثال اللورد روتشيلد واللورد ريدنج . وأن أساس المداولات كان خلق دولة يهودية في فلسطين ، تحت حماية إنجلترا . كما ثبت أن هذا الغرض صادف هوى لدى الاستعماريين من الإنجليز ، زاعمين أن هذا يثبت إقدامهم في بقعة لم تسكن لهم ، بقعة تنسلخ من السلطنة العثمانية — وهي في حرب معهم — وتخرج من حوزة العرب الذين خاضوا غمار الحرب ضد تركيا ، ليفوزوا باستقلال بلادهم عن الترك وعن الإنجليز . وقد رجعت كفة الاستعمار ، وأدى ذلك إلى التفاهم السرى الذى تم بين اليهود والإنجليز الاستعماريين ، على ألا يظهر هذا التعاقد الخفى إلا بعد أن تلوح للعرب بوادر الظفر والنصر على الألمان وحلفائهم . وبشرط أن يكون التعبير — عن هذا الاتفاق في تصريح بلفور — بكلمات مبهمه مطاطة ، لاتزعج العرب حتى تنتهى الحرب ، وعندئذ ينفذ الفريقان الإنجليزى واليهودى ما أرادوه تباعاً . وهذا ما ظهر جلياً في تحقيق اللجنة الملكية (لجنة بيل) مع تشرشل ولويد جورج .

فلقد أبان تحقيق هذه اللجنة بما لا يحتاج إلى داليل الأمور الآتية :

أولاً : الاتفاق على إنشاء دولة يهودية في فلسطين .

ثانياً : التمهيد لهذه الدولة بشراء الأراضى ، وإنشاء المستعمرات اليهودية

ثالثاً : أن يهب الإنجليز أراضي حكومة فلسطين إلى اليهود .
رابعاً : تشجيع الهجرة ليتدفق اليهود على فلسطين ، ومنع إقامة حياة
نيابية حتى يصبح اليهود أكثرية فيها .
خامساً : تدريب شباب اليهود على الأعمال العسكرية ، وإلحاقهم
بالجيش البريطاني كمحاربين كي يكونوا قادوين على صد أي اعتداء عربي .
سادساً : تعيين لجان تحقيق متعاقبة لتهدة نفوس العرب ، وإعلان
بيانات ومشاريع ، وإصدار كتاب أبيض لكل لجنة يكون بعضها مانعاً
لهجرة اليهود بلا قيد ولا شرط ، كما يمنع بعضها الهجرة بعد مدة معينة ،
ويحيد بعضها تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وينوّه عن تبادل السكان
وغير ذلك من الآراء التي طفحت بها تقارير لجان التحقيق المختلفة وغيرها،
وقصد بذلك كله تخدير العرب وإعطاء الفرصة لليهود لتنفيذ مآربهم .



ومما يؤلم النفوس حقاً ، أن يكشف التاريخ بعد سنوات عدة عن
حقيقة مرأى تصرّيح بلفور وثبات من وضعوه ، فقد وضح أنه كان مهزلة
لا تشرف من أبرموه ، ومأساة تاريخية اقترفها رجال عظماء يهيمنون على سياسة
دولة عظيمة ، كان واجبهم الأول والأقدس صيانة تاريخ بلادهم من الشوائب .

إن سياسة البريطانيين كانت ترمى إلى بسط سلطانهم على فلسطين ،
آملين أن يستقروا في بقعة من الشرق الأدنى ، تكون لهم مركزاً استراتيجياً
ممتازاً يسيطرون به عليه . وقد دفعتهم شهوة الاستعمار إلى محاربة اليهود ،
محاربة وصلت إلى حد التفكيك بالمرب كلها ثاروا ذيادة عن حرياتهم
وبلادهم ، فكان العنف والسجن والتقتيل نصيبهم ، بينما اليهود لم يفلحهم
شيء من عقوبة مهما أسرفوا في اعتداءاتهم .



استمرت الهجرة اليهودية المتفق عليها ، واستمر شراء الأراضي ،
وازداد سلطان اليهود ، وحصنوا مستعمراتهم . ويظهر أن الاستعمار الإنجليزي
قد تخطأ أخيراً في سياسته نحو اليهود والعرب ، فتلكاً نوعاً ما في تنفيذ
رغبات اليهود ، وظن هؤلاء أن هناك فكرة تقسيم فلسطين بينهم وبين
العرب ، في حين أنهم يريدون اغتصاب البلاد كلها ، فثاروا على الإنجليز
أنفسهم ، وأذاقوهم العذاب ، واختطفوا من رجالهم من اختطفوا ، وجلدوا
من ضباطهم من جلدوا ، وقتلوا من قتلوا ، ونسفوا من الدور والمركبات
وقاطرات السكك الحديدية ما نسفوا ، حتى أصبح مركز الإنجليز هناك
لا يطاق .

وقد وصل أسرى اليهود في بطشهم بالانجليز ، أن يهوديين أتيا إلى مصر ، وقتلا في القاهرة اللورد (موين) وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط ، في نوفمبر سنة ١٩٤٤ أمام داره ، ولولا مرور أحد رجال البوليس المصري مصادفة ومطاردته للقاتلين والقبض عليهما ، لرفع الانجليز عقيرتهم ، واتهموا مصر بارتكاب هذا الجرم الفظيع وطالبوا بالتعويضات ، لكنهم لم يحركوا ساكناً ضد اليهود بعد القبض على القاتلين والحكم عليهما بالإعدام من محكمة مصرية .

كذلك فعل اليهود بالسكونت (برنادوت) السويدي الذي ندبته هيئة الأمم لإيجاد حل لمشكلة فلسطين ، وكان ذنبه أن اقترح تقسيمها بين العرب واليهود ، تقسيماً لم يرض أطماع اليهود ، فاعتاله هؤلاء في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨ ، ولم تعوق هذه الجناية البشعة تنفيذ ما آرب اليهود .



من هذا يتضح أن بريطانيا — صاحبة تصريح بلفور — عجزت عن الاحتفاظ بهيبتها ، بعد أن قويت شوكة اليهود ، وآزرتهم الولايات المتحدة الأمريكية ، واحتضن (ترومان) الصهيونية وباركها . وعندئذ سلمت بريطانيا بما ليس منه بد ، وطوت ثوب الانتداب عن فلسطين نهائياً ، وسلمتها

لا إلى أهلها العرب الذين كانت بلادهم « أمانة مقدسة في عنق المدينة » وإنما إلى الصهيونيين الغاصبين . وخرج المستعمرون من تلك الديار غير مشكورين من أحد .

بين الحربين العالميتين

معاهدة فرساي

لم يقف تأثير الماسونية عند الأحداث المختلفة التي وقعت منذ قيام الثورة الفرنسية الكبرى وما أعقبها من ثورات إلى نهاية القرن التاسع عشر ، بل كان لها الأثر البالغ في أكبر حادث وقع في أوائل القرن العشرين ، وهو الحرب العالمية الأولى التي شبت سنة ١٩١٤ كما قلنا ، واختتمت بمعاهدة فرساي ، تلك المعاهدة التي أعدت قبل إبرامها بوقت طويل ، عن طريق مفاوضات خافية على الرأي العام ، أجريت في مؤتمرات ماسونية ، كالمؤتمر المسمى المشهور الذي عقدته الجمعيات السرية للحلفاء والدول المحايدة بمحفل الشرق الأعظم بباريس في ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ يونيو سنة ١٩١٧ — أي قبل وعد بلفور بأربعة أشهر — والذي يمكن الاطلاع على نص محاضره في السكتيب الذي نشره السكونت دي بونسان بعنوان

« جمعية أمم دولية ماسونية » . ويتجلى لقارى هذا المتند أن الخطط التي وضعتها الماسونية سنة ١٩١٧ قد حققت أغراضها كاملة تقريباً .

والعمل الجدى الماسونية يتم بتدخل صامت خفى ، والماسونى يخفى دائماً حقيقته وبذلك يمكنه التهرب من كل مسئولية . وكلمات الأخ الماسونى (رحيس) فى محفل الشرق الأعظم بفرنسا فى عام ١٩٢٨ جد واضحة ، ولها مغزاها فى هذا الموضوع ، إذ قال :

« بحافز من محفل الشرق الأعظم — كما أوضحت — علينا أن ندرس فى هياكلنا المحفوفة بالصمت والسكينة ، جميع المسائل المتعلقة بحياة المدن والأمة والإنسانية ، وأن إخواننا سيزودون بمعلومات وافية ، وسوف لا يغادرون هذا المحفل إلا وهم على علم تام ومجهزون للكفاح ، إلا أنهم سيودعون فى محفلهم مسوحهم وصفاتهم ...، وسيمنزلون إلى المدن كمواطنين عاديين ، ولكنهم مشبهون بروحنا ، وسيقوم كل منهم بعمله فى بيئته المهنية ، وفى حزبه ، ونقابته ، بوحى ضميره ، ولكنى أعود فأكرر أنهم يستوحدون فى ذلك تعليمات يتلقونها . وستكون النتيجة مثمرة ، إذ يتسرب النفوذ الماسونى رويداً رويداً فى كل مكان ، وسيذهل العامة حين يرون النتائج المحتومة لهذه الروح ولهذا التماسك ، وتطفى هذه النتائج على أذهان

العامّة المذهولين صائحين : « فوق جموعنا بأمرها تحركنا قوة لا يمكن إنكارها . هذه القوة هي الماسونية ، القوة الروحية »^(١)

ولقد أتت معاهدة فرساي متفقة مع أغلب الأسس التي وضعها هذا المؤتمر اليهودي . أتت شديدة الوطأة ، باهظة التكاليف على ألمانيا وحليفاتها ، بل على فرنسا نفسها ، وتبخرت مبادئ الدكتور ولسون الأربعة عشر ، كما ذابت الوعود البراقة التي طالمنا أعلنها لويد جورج وكليمنصو . وهذا يدل على أن قوة الصهيونية ، كانت أعظم من مبادئ هذا الثلاث المكون من ولسون ولويد جورج وكليمنصو ، ذلك الذي أدار الحرب العالمية الأولى ، مع أن الدكتور ولسون لم ينجح في إنهاء الحرب إلا بفضل مبادئه الأربعة عشر ، وهي مبادئ الإنسانية ، وحق كل أمة في تقرير مصيرها ، وقد أعلنها إبان الحرب للعالم عامة ، والألمان بصفة خاصة ، فسرت بينهم وتغلغلّت في نفوسهم واعتقدوا صحتها ، وآمن بها الشعب الألماني والجيش الألماني وقت أن كان قوياً يحتل أراضي فرنسا وغيرها ، ورجع إلى بلاده محتفظاً بكرامته ، يطالب هو وقائده الأكبر هندنبيرج بإتخاذ الإنسانية حتى لا يكون هناك غالب ومغلوب . ولكن القوة اليهودية سرعان

(١) راجع رسالة بدائيات التي مر ذكرها .

ما أسقطت تلك المبادئ كما أسقطت الدكتور ولسون نفسه ، وأسقطت معها وعود لويد جورج وكليمنصو .

كانت المساعي في وضع معاهدة فرساي محوطة بتدبيرات الصهيونيين ، الذين ساعدتهم إنجلترا في ذلك الوقت . فقد أرسلت اللورد ريدنج اليهودى سفيراً لها ومندوباً فوق العادة إلى الولايات المتحدة الأمريكية للاتفاق مع اليهود المحيطين بالرئيس ولسون على المسائل السياسية والاقتصادية الدقيقة ، التي نجمت في الأشهر الأخيرة عن الحرب ، ولتحديد مبادئ الصلح في هذه المسائل .

وهؤلاء اليهود الأمريكيون الأقوياء المحيطون بالرئيس ولسون كانوا : السفير مورجانثو ، والبنكبير الكبير يعقوب شيف ، والقاضى برانديز ، والأستاذ فرانكفورتز .

ولا يخفى أن ألمانيا بعد هزيمتها في الحرب الأولى ، وفرار الإمبراطور غليوم الثانى إلى هولاندا ، وقعت في أيدي اليهود . ودليلنا على ذلك أن وزير خارجيتها « هاس » ووزير ماليتها « شيفر » ووزير داخليتها « بروس » كانوا يهوداً . كذلك بروسيا — وهى القسم الأكبر من ألمانيا — كان كل وزرائها من اليهود . وكان « كورت اسنر » اليهودى حاكماً على بافاريا .

«وحكم» «بيلا كوهين» اليهودى هنغاريا ، ولم يدم حكمه طويلا نظراً لطغيانه الفظيع . كما كان لليهود أكبر النفوذ فى النمسا موطن هتلر .

ومما يثير الدهشة ، أن الوفد الألمانى الذى ذهب إلى باريس فى مفاوضات الصلح كان كل أعضائه من اليهود . ومنهم « أوسكار أوبنهايمر » ، و « ماركس واربورج » وهذا الأخير أخ لصهر البنكرود الأمريكى اليهودى « يعقوب شيف » سالف الذكر .

ورأى الألمان من وطأة مشروع معاهدة فرساي وشذتها ، وعنجهية كليمنصو وحلفائه ما أدهشهم وأذهلهم . وحاول مندوبوهم أن يتكلموا ، ويتناقشوا قبل توقيع المعاهدة ، لكن كليمنصو قال لهم « إنكم جئتم هنا للتوقيع لا للنقاش » فاضطروا إلى توقيعها وهم صاغرون .

وبالجملة فإن معاهدة فرساي لم تكن فى صالح المفتصرين ولا المهزومين . وإنما كانت إجحاءاً يهودياً صرفاً ، يحقق مصالح المصارف اليهودية الكبرى وشركات الاحتكار العالمية — تلك التى أثرت من الحرب — ومصالح المكتنزين للذهب فى العالم .

وقد اعترف « إسرائيل زانجويل » الزعيم الصهيونى المعروف أن عصبة الأمم كانت إجحاءاً يهودياً صرفاً . وقال « لوسيان وولف » مندوب

الجمعيات اليهودية الذي حضر اجتماع مجلس عصبة الأمم في جنيف :
« إن هذه العصبة تتفق قراراتها مع أنبل التقاليد اليهودية وأقدمها ،
وأن واجب اليهود المقدس أن يؤيدوا هذه العصبة بجميع الوسائل الممكنة ^(١) ».

كل هذا أذهل الألمان ، وأوجد في نفوسهم حسرة ، وغرس فيهم
الحقد وفكرة الانتقام ، فصمموا على الكفاح ، والأخذ بالثأر عند سنوح
الفرصة .

ولا ريب أن هذا هو السبب في ظهور (هتلر) ، بل هو السبب
في نشوب الحرب العالمية الثانية .

كما أن معاهدة فرساي سببت انقسام أوروبا إلى ثلاث كتل مسيحية
متعادية : حلفاء الغرب . ثم ألمانيا ومعها أوروبا الوسطى . ثم روسيا الشيوعية .
وهذا ما تبنته قرارات حكاء صهيون والماسونية لتحطيم العالم المسيحي
وبالتالي لتحطيم العالم كله ، حتى يقتتل المسيحيون ، ويقضى بعضهم على

(١) انظر مقدمة كتاب قرارات حكاء صهيون بالفرنسية طبعة برنار جراسيه
لسنة ١٩٣٧ .

بعض ، ويسود اليهود ، وبهذا ظفرت الصهيونية بمغانم كثيرة ، ووطدت سلطانها الخفي ، وأحكمت سيطرتها الاقتصادية على العالم .

وإن من يعم النظر في معاهدة فرساي وشروطها وملحقاتها ، وما خلفته من مأس واضطراب عالمي ، سواء في السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع . لا يشك في أنها كانت وحياً يهودياً صهيونياً ، ألقى على رجال الحكم في إنجلترا وفي الولايات المتحدة الأميركية ، وهي وإن كانت خفيفة الوطأة نوعاً ما على إنجلترا والولايات المتحدة الأميركية — بسبب مساعدتها للصهيونيين — إلا أنها جرت على الشعوب الأخرى ، وخاصة ألمانيا والنمسا وفرنسا ، الضنك والفقر والاضطراب . وذلك كله كان السبب الرئيسي في قيام (هتلر) وأتباعه للأخذ بالتأثر من هذا العالم الظالم ، الذي قاده الصهيونيون ، وأوقعوا كثيراً من أعمه في هوة سحيقة .

وكان طبيعياً أن يشيد الصهيونيون بهذه المعاهدة ، ويعلموا في مؤلفاتهم وصحفهم أنها معاهدة عدل ، تتفق والفضيلة اليهودية والخلق اليهودي ، وأن اليهود جميعاً يجب عليهم أن يؤيدوها كل التأييد ، وما ذلك كله إلا لأنها وما تبعها من معاهدات كانت ترمي إلى خلق مشا كل اقتصادية وسياسية واجتماعية متشعبة ، تؤدي إلى تسيخير العالم لخدمة السالين اليهود (م — ٩ فلسطين)

والمصارف اليهودية ، والمصانع اليهودية ، والمؤسسات اليهودية ، وتساعد اليهود على تحقيق أهدافهم السياسية ، وأن من يقارن بين الفقر الذي عم البلاد المسيحية والإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى وبين الثراء العريض الذي حازه اليهود من يوم معاهدة فرساي إلى الآن يعلم حق العلم كيف كانت معاهدة فرساي وما تبعها من معاهدات ، نكبة على العالم أجمع كما كانت أكبر غنيمة للصهيونية نفذت بها ما شئت مما تضمنه نحو الإنسانية عامة ، والمسيحية بنوع خاص . وسيمتد العالم في هذه الاضطرابات والحروب ما بقي مسيحيو العرب والشرق خاضعين في عبي لأساليب الصهيونية العلنية والخفية ، ومؤسساتها الاقتصادية والأدبية ، والإنسانية كما يزعمون .

ولقد نشرت جريدة (المورننج بوست) اليومية — وهي من كبريات صحف بريطانيا — فصولاً عدة عن قرارات حكاء صهيون ، وعن وثائق أخرى اكتشفت ، ونوهت بأن المسؤولية واقعة على اليهود ، وهي مسئولة القلق العالمي العام ، ذلك القلق الذي سبب استمرار الصعوبات السياسية والاقتصادية الناجمة عن الحرب .

ومن المؤسف أن الترجمة الروسية لقرارات حكاء صهيون لم يعن بنقلها

إلى اللغات الأخرى إلا بعد حين ، وأن بعض النسخ الروسية التي حفظت في مكتبات المتحف البريطاني في لندن لم يعرف الناس عنها شيئاً ، إلى أن انتشرت ترجمة هذه القرارات ، وعرفها كثير من الناس بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، فأذهلت من قراءها .

ونشرت جريدة (التيمس) اللندنية الكبيرة في ٨ مايو سنة ١٩٢٠ مقالاً عن الخطر اليهودي بعنوان « رسالة مقلقة ، دعوة إلى التحقيق » بمناسبة نشر ترجمة قرارات حكاء صهيون قالت فيه :

« لا يمكن أن يهجز أحد من أن يكتشف روسيا السوفيتية في البروتوكولات (أي قرارات حكاء صهيون) كما أنه لا يستطيع أحد أن ينكر أن القوميسيرين السوفيت يكادون يكونون جميعاً من اليهود ... » إلى أن قالت : « من أين يتأتى الاستخفاف بملاحظة نبوءة القرارات ، وقد أنجز جانب منها ، على حين أن جوانب منها في طريق الإنجاز ؟ هل كنا نقاتل طوال هذه السنين الفاجعة لنفسف ونستأصل التنظيم السري لسيطرة ألمانيا على العالم ، لغير هدف إلا لنجد تحته خطراً آخر أعظم ، لأنه أشد خفاءً ، هل تخلصنا بتوتير كل عرق في جسم وطننا من « سلم ألماني » لغير شيء إلا لتتورط في « سلم يهودي »^(١) .

(١) انظر كتاب الخطر اليهودي للسيد محمد خليفة التونسي .

هذا عرض موجز ينبئك بما تبنيته الصهيونية ، وقد نجحت نجاحاً كبيراً ، وأوجدت في أوروبا تسكتلات متعادية ، تبغى الصهيونية من ورائها ، إكمال ما قصدته من تحقيق رغباتها الجهنمية .

ظهور هتلر والنازية

والحرب العالمية الثانية

لابد لنا لاستكمال البحث من ذكر طرف من أعمال « هتلر » حتى هيأ ظروف الحرب العالمية الثانية وممدااتها .
أهين الألمان وافترقوا وتمزقوا ، وضاعت مستعمراتهم وثرواتهم ، فعلوا في صمت وحقد لاسترداد شرفهم ومكائتهم ، بعد أن تبين لهم كذب الوعود التي أعلنها ولسون والحلفاء ، فسكوتوا جمعيات ، منها جمعية انضم إليها (هتلر) ، وكان لهذا التأثير مجاله في إلقاء الخطب وتوزيع النشرات إلى أن تسكون الحزب النازي — أي الحزب الوطني الاشتراكي — بزعامته . وكان في مقدمة أعماله القضاء على الصهيونية ، وطرد اليهود من بلاده ، وإهانتهم وتعذيبهم وتجريدهم من أموالهم وجنسياتهم الألمانية ..

وقد يقف المرء حائرا أمام تلك القسوة التي قام بها هتلر وأعوانه ضد اليهود ، إذا علم أن هتلر لم يكن من المتدينين المتزمين ولا من المتعصبين المسيحية ولا من حماة . فما السبب في كراهيته لليهود ، ومطاردته لهم بقسوة بالغة ؟

السبب الواضح أنه آمن هو وقومه بمبدأ عبادة الوطن الجرمانى ، ورأى أن اليهود قد نفذوا فعلا قرارات حكائهم وخطط ماسونيتهم ، وثبت له ولأتمته أن اليهود جعلوا هذا الوطن الألمانى . وذكر فى كتابه « كفاحى » أنهم كانوا شرا على الوطن ، يعملون بأساليب كثيرة ، ووسائل قاسية تهد من كيانه ، وأن من أعمالهم أنهم استنزفوا أموال الشعب بالربا الفاحش ، ومنها أنهم لم يكونوا فى المعاملات من الذين يطمان اليهم ، ومنها أنهم أفسدوا التعليم فى دور العلم ، كما أفسدوا الفنون جميعا ، واحتكروا أو كادوا يحتكرون المصارف المالية ، والبورصات ، وبيوت السمرة ، والشركات التجارية والصناعية ، ودور النشر والصحف والسينما ، وغير ذلك من الممتلكات التي تحتكر المال وتخزنه .

ومنها أن اليهودى يأتى إلى المانيا غربيا فقيرا جائعا ، ثم لا يلبث بوسائل شاذة أن يصبح بعد سنوات قليلة من سرقة القوم وأغنيائهم .

ومنها وهو المهم تدخل اليهود في سياسة الدولة وتوجيهها . ومنها وهو
الأمم لديه أن كان من اليهود عدد كبير احترف التجسس ضد الوطن
ولمصلحة الأجانب .

لم لا يكون الاعتقاد الجازم من هنر وأعوانه دليلا قاطعا على أنه
فطن إلى خطر الصهيونية ، وفطن إلى تاريخ الماسونية وبرامجها الهدامة ورغبتها
في تقويض العالم !! وهو وإن لم يكن من المتعصبين للدين إلا أنه فكر بعقلية
المواطن الخالص ، والإنسان الذي يريد انقاذ وطنه من الشرور التي حاقت
به وبخاصة بعد أن رأى أوروبا المسيحية متعادية ، منقسمة على نفسها إلى
مسكرات ثلاثة : أولها الشيوعية الروسية التي خلقها اليهود ، وثانيها
الرأسمالية الغربية التي يهيمن عليها اليهود . وثالثها أوروبا الوسطى المغلوبة
على أمرها .

وكان لليهود في نظره سياسات مختلفة ، تبعا لاختلاف أمزجة الأمم
وثقافتها ، واسكن غايتها واحدة . ففي الشرق شيوعية ، وفي الغرب رأسمالية ،
وفي الوسط تفتيت وتخريب وتجسس ، دفع الألمان إلى نظام الفازية .
وهكذا تخاصم المسيحيون وتحاربوا واقتتلوا . وبفضل الدهاء الماسوني
تحالفت الشيوعية الشرقية مع الرأسمالية الغربية . وقامت الحرب الثانية

وعرض هتلر على الغرب أن يتضامن معه لدفع خطر الشيوعية فرفض الغرب عرضه . وكانت النتيجة المحبومة استمرار الحرب الثانية ضد المحور (ألمانيا وإيطاليا واليابان) الذى قام لمحاربة الشيوعية . ثم انهزم المحور . واليوم يندم حلفاء الغرب على ما أظهروا من ود وتحالف مع الشيوعية ، وهم يحصدون الآن ما زرعوه .

ومادام هذا البله فى الساسة المسيحيين مستمرا ، فسيظل العالم المسيحى مرعى خصيبا ، تعمل فيه الصهيونية ، وتنفذ مآربها التى ستنتهى لا محالة بأفلال العالم وسيادة اليهود .

* * *

ومن غريب المشاهدات التى تحير العقول ، أن الصهيونية ، التى كانت السبب فى ثورة روسيا على القيصرية ، والتى تتحكم الآن فى الشيوعية التى ألغت المسيحية فى تلك البلاد ونشرت الألحاد فى ربوعها . هذه الصهيونية هى الآن صديقة الغرب وفيه من أصحاب الملايين والعلماء الصهيونيين ، والفنانين والخبراء العدد الوفير . وفيه من الوزراء اليهود والنواب وذوى النفوذ ما لا يحصره عد . وفيه الكثير من السكرتيرين فى هيئة الأمم المتحدة ولجانها المتعددة ، كما كانوا كثرة فى عصبة الأمم القديمة . كل هذا يوجب الدهشة

والخيرة ويشعر بخاطر على الغرب شديد .

وأشد من هذا كله وأنكى ، كثرة الأساتذة اليهود في الجامعات والمدارس في الغرب ، واشتراك العلماء اليهود في صناعة القنابل الذرية والهيدروجينية وأسرارها ، وهم الآن على علم بدقائق هذه الصناعة ومراكزها التي كان يجب إخفاؤها على غير المسيحيين ، فأسرار هذه الصناعة التي يتوقف عليها مصير الإنسانية أصبحت في أيديهم وفي أمانتهم ، وليقل لنا رجال الغرب المسيحيون كم من الصهيونيون أفشوا السر ؟ وكم من اليهود ثبتت عليهم تهمة التجسس لمصلحة الأعداء ؟ .

إن الصحف ووكالات الأنباء تطالعنا من وقت لآخر بأسماء الجواسيس الذين خانوا الغرب والشرق ، وكشفوا عن أسرار القنابل الذرية والهيدروجينية وأسرار الخطط والاستحكامات العسكرية ، فهل بحث المتخصصون ، بين هؤلاء الجواسيس عن عدد اليهود الذين لا يبغون سوى تخطيم العالم كما أسلفنا ، وليست الوطنية عندهم سوى دينهم وعنصرهم ؟ هل يمتدح رجال السياسة أن اليهودي الأمريكي مواطن أمريكي حقاً ؟ أو أنه يهودي قبل كل شيء ، ديناً وعنصراً ؟ ومثل هذا يقال عن اليهودي في بريطانيا وفرنسا وغيرها .
إني أترك الجواب لضمير كل مسيحي مدرك للحقائق الأشياء .

ويحسن بنا في هذا المقام إتماماً للبحث أن نورد نصوصاً قاطعة ، أثبتها
يهودى ، ذو ضمير وفطنة ، تبرأ من الصهيونية اسمه « الفريد لييلينثال » في كتاب
وضعه بعنوان (ثمن إسرائيل) جاء فيه ما يأتى :

« قال رئيس الوكالة اليهودية بيرل لوكر (وهو مواطن أمريكي) بكل
تبجح وصراحة ، تبرز سياسة الصهيونية واضحة جليلة :

(. . . إن راية إسرائيل هي رايتنا . . . ومن واجبنا أن نتألم من أجل
هذه الراية . وعلينا أن ننظر إلى هذه الراية الصهيونية التي بدأت تحقق
فوق دولة إسرائيل . وكأنها تحقق فوق رأس كل منا وإن كل
آمالنا أن نراها تحقق فوق رأس جميع الشعب اليهودى . وذلك بعد أن
ينتهى من جمع شعث المشتتين من اليهود ضمن هذه الدولة) .

وفي اجتماع وزارى عقد يوم ١٥ يوليو سنة ١٩٤٨ قال بن غوريون
رئيس حكومة إسرائيل ما يأتى :

(إن أجيالنا السالفة لم تتحمل الاضطهاد والآلام لكي ترى ثمرة
جهادنا ، تنحصر في جمع ٨٠٠.٠٠٠ يهودى فقط ضمن إسرائيل . إن
واجبنا يحتم علينا أن ننفذ جميع اليهود الموجودين في البلدان العربية
والأوربية) .

وقال بن غوريون رئيس حكومة إسرائيل المذكور في تصريح رسمي له عن أهداف الوطنية الصهيونية في ٣١ يوليو سنة ١٩٤٩ عند ما خطب في حفل حضره فريق من اليهود الأمريكيين ، كانوا يزورون إسرائيل :

(. . . إن من واجب يهود العالم أن يعودوا إلى وطنهم الأول . ومع أننا حققنا حلمنا الأول في إقامة دولة يهودية ، فنحن ما زلنا في أول الطريق ففي إسرائيل الآن حوالي مليون يهودي فقط بينما يقيم أغلبية الشعب اليهودي خارج دولتنا . وهدفنا الآن ينحصر في حث جميع يهود العالم على العودة إلى إسرائيل . ولهذا فنحن نتوجه إلى الآباء اليهود كي يساعدونا في إرسال أبنائهم وبناتهم إلى هذه الأرض المقدسة . وحتى فيما لو امتنع هؤلاء عن مساعدتنا فسنعمل على استقدام الشبيبة اليهودية الناشئة) .

وبعد انتخابات سنة ١٩٤٩ قال بن غوريون المذكور (علينا أن ننقذ ما بقي من شعب إسرائيل مشتتاً في أنحاء العالم ، علينا كذلك أن

ننقذ ممتلكاتهم . فبغير هذين الأسرين لا يمكننا إعادة بناء هذه الدولة^(١) .

* * *

يفهم من كل ما تقدم بلا كبير عناء أن الصهيونية تستبر اليهود المقيمين خارج إسرائيل ، سواء في أوروبا أو أمريكا أو غيرها ، طوائف مشتتة في المنفى ، وأنهم مواطنون إسرائيليون قبل كل شيء ، ويتحتم عليهم الولاء المطلق لهذه الدولة الجديدة مهما تكن جنسيتهم الرسمية التي يسبقونها على أنفسهم . وفي هذا القدر كفاة .

(١) هذه النصوص منقولة عن كتاب « نحن إسرائيل » لا لفريد ليلينثال الأمريكي اليهودي وقد نقله إلى العربية السيدان حبيب نحولي وياسر هوارى .

ماساة فلسطين

إذا أصاب الإنسان في شؤونه الخاصة بلاء ، أخذ يبحث أسبابه ، ويتدارس نتائجها ، ويحاسب نفسه على ما فرط منها ، ويندم على أن فعل ما وصل به إلى هذا البلاء ويقول : ليتني لم أقترف ما أوقعني في الخطل ، ونأى بي عن النجاح والتوفيق .

هذا شأن الفرد ، فما بالك بالأمة وهي مجموعة من الأفراد . بل هي مجموعة من الأجيال ، ومن الذكريات ، ومن التاريخ ، ومن الحضارة التي تحرص الإنسانية على الاحتفاظ بها ، لأن فيها خيراً للبشر ونفعاً لبني الإنسان .

وما بالك بأمة عزيزة على كل عربي ، عزيزة على كل مسلم ، لأنها قلب ، وكل بلد عربي جسد . ولأن فيها من التراث الديني والتاريخي ما يجب أن نصونه ونحميه من كل عدوان وأذى .

تلك هي فلسطين ، وقد حل بها البلاء الذي نحس به جميعاً ، وبجز في نفوسنا ويقض مضاجعنا . حل بها بلاء مضمّن عنيف ، أريد به فناؤها ، وليس بعد الفناء بلاء .

ومن الواجب علينا أن ندرس الأسباب التي جرت على فلسطين هذا البلاء ، حتى نتعرف الأمور ، ونقف على الحقائق جلية ، لتكون درساً حياً لكل فرد وكل أمة ولكل شعب في الحاضر والمستقبل . أن الحياة عبر وعظمت فإذا لم تحركنا هذه العظمت والعبر إلى مافيه خيرنا كنا غير جديرين بحياة كريمة .

وأرى لزاماً على — وقد اهتممت بقضية فلسطين مدى ربع قرن — أن أعرض الحقائق التي عرفتھا عن خبرة ، ولستها بعد بحث ودراسة وتمحيص .

جامعة الدول العربية :

سكن أهل فلسطين بلدهم من بدء التاريخ ، ومن قبل ظهور الإسلام والمسيحية . وقد أرادت الصهيونية أن تعيث بوجودهم في هذه الأرض ، فسكان تصریح بالقور في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ . وأراد أهل البلاد العربية أن يصونوها من هذا العبث ، وأن يكونوا يداً واحدة في دفع البلاء ، ودعاهم هذا إلى تكوين جامعة الدول العربية ، وتم التوقيع على بروتوكولات الاسكندرية في ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، وتم التوقيع على

ميثاق الجامعة في ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ ، وتعاهد المتعاقدون في ميثاق الجامعة أن يتضامنوا في الحفاظ على أقطارهم ، وعلى حرياتهم واستقلالهم . ودعما لهذه الغاية النبيلة ، اجتمع ملوك ورؤساء الدول العربية في قصر « زهراء انشاص » في ٢٨ و ٢٩ مايو سنة ١٩٤٦ ، وصدر في هذا الاجتماع قرار إجماعي ملخصه « إن قضية فلسطين ليست خاصة بعرب فلسطين وحدهم ، وإنما هي قضية العرب جميعاً ، وأن فلسطين العربية يتمتع على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها » .

وتوالت الأحداث وصدر في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ مع الأسف قرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود . فثار عرب فلسطين احتجاجاً ، واشتدت ثورتهم ، وقدموا أموالهم وأرواحهم ، فداء لحرية وطنهم .

وفي ١٢ أبريل سنة ١٩٤٨ وثورة فلسطين مستعرة الأوار ، وفد رؤساء الدول العربية إلى مصر لحضور اجتماع اللجنة السياسية ، ووقعوا جميعاً قراراً نصه :

« إذا دخلت جيوش عربية فلسطين لانتاذاها ، فيجب أن يفهم صراحة أنه يجب النظر إلى هذا التدبير كحل مؤقت خال من كل صفة من

خلفات الاحتلال أو التجزئة لفلسطين . وأنه بعد إتمام تحريرها تسلم إلى أصحابها ليحكموها كما يريدون » .

وفي ١٣ أبريل سنة ١٩٤٨ أدلى المغفور له الملك عبد الله في عمان في وفد من لاجئي فلسطين ، بتصريح نشرته الصحف اليومية جاء فيه :

« وأشهدكم الله أنني لا أطمع في فلسطين ، ولا أبغى ضم جزء منها إلى بلادي ، لأنني سأدخلها مع بقية الجيوش العربية ، لتحرير تلك البلاد العربية العزيزة . وبعد أن يتم لنا ذلك سنترك لسكم مهمة تقرير ما ترونه ملائماً ومناسباً . فإذا وجدتم أن مصلحتكم تقضى عليكم بالانضمام إلينا ، فأنسأ نرحب بذلك كل الترحيب . وإنني أطمئنكم كل الاطمئنان على ذلك إذ لا يوجد أردني واحد تظله بلادي يرضى باغتصاب فلسطين بعد تحريرها » .

وفي ١٤ أبريل سنة ١٩٤٨ علق المغفور له الملك عبد الله على البيان الذي صدر في اجتماع زهراء انشاص بقوله :

« ليس الوقت وقت فتح أو طمع لأية دولة من دول الجامعة ، ولكنه وقت جهاد وصبر وتنظيم . وإذا أدخلت الدول العربية جيوشها فلسطين خلا شك أن هذا لا يكون إلا بإجماع منها وتحمل للمسؤوليات كلها . وبعد

إنقاذ هذه البلاد فلسطين هي فلسطين . ولأهلها الكلمة الأخيرة فيما يعود عليها بلا إكراه ولا إجبار .

حرب فلسطين :

استفحل شأن الصهيونية في فلسطين ، واعتدوا على حقوق العرب . وأمنهم وسلامتهم . فدفع هؤلاء العدوان بالقوة . وقررت الحكومات العربية الوقوف بجانب الفلسطينيين في الذود عن حريتهم ، وفي حمايتهم من طغيان الصهيونية ، التي تريد طرد هذا الشعب العربي من دياره التي سكنها وحماها منذ آلاف السنين .

وقضت بعض الظروف والملايسات ، أن تعين الحكومات العربية جلالة الملك عبد الله قائدا أعلى للجيش العربية .

وأود أن أنبه إلى أن نسكبة فلسطين كانت بأسباب وعوامل كثيرة ، لا كلها الفاس في الأندية وسطرتها الصحف في أخبارها ، أهمها :

أولا : تواطؤ بعض الدول وعلى رأسها إنجلترا وأمريكا للقضاء على فلسطين واعطائها لليهود ومساعدتهم بالمال والسلاح والذخيرة ، وهذا العمل تقع مسؤوليته على تلك الدول ، وخاصة إنجلترا ، التي عبثت بوصايتها على

فلسطين ، ثم أمريكا التي ساعدت اليهود بالمال والسلاح .
ثانياً : ما قام في الأذهان من أن الدول العربية كانت في سبات عميق ، ولم تكن مستعدة لخوض غمار هذه الحرب والدفاع عن فلسطين .
ثالثاً : ما عرف من خيانات في شراء أسلحة فاسدة ، أوقعت البلاد العربية في ورطة كبرى .

رابعاً : اختيار الملك عبد الله قائداً أعلى للجيش العربي . واعتقادى أن هذا الاختيار كان أكبر نكبة على فلسطين ، وكان خطأ جسيماً لا يغتفر وقعت فيه الحكومات العربية . لا لأن المرحوم الملك عبد الله أساء إلى الوكالة التي أعطيت له ، وإنما لأن الأردن كان وما زال محتلاً بالإنجليز ، وكان قائد الجيش فيه « جلوب » الانجليزى . وما كان في مكنة الملك عبد الله أن يعارض تصرفات هذا القائد وانجلترا تحتل بلاده وتساعدها مادياً لتحتفظ بكيانها الاقتصادى . وكل هذه الظروف كانت تحتم على الدول العربية ألا تجعل القيادة العليا للإنجليز باسم الأردن ، وهى تعلم ما ينجم من مأس وأضرار باعطاء إنجلترا قيادة جيوش تحارب اليهود الذين محتضنهم هى وتدافع عنهم . إن هذا هو أفظع ما يكون في تصرفات السياسة العربية في ذلك الحين .

وإن من يتتبع الحوادث في حرب فلسطين يخرج منها بنتيجتين :
(م — ١٠ فلسطين)

إحداها — أن بريطانيا عبثت بأمانة الوصاية على فلسطين ، وسلحتها
لغير أهلها .

والأخرى — وهى أشد إبلاها ، أن قوماً من العرب ظاهروا هذه
«السياسة ، جهلاً ، أو جرياً وراء منافع الدنيا التى لا يدرون متى يدعونها
إلى حياة أخرى ، لا يغنى عنها مال ولا جاه ولا سلطان .
وبيان ذلك :

أولاً — ترك الإنجليز فلسطين فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، وكان الواجب
أن يردوها إلى أهلها العرب . ولكنهم لم يفعلوا ، وسلموا مدينة « حيفا »
إلى اليهود . وأراد عرب حيفا أن يدافعوا عنها ، واستنجدوا بقوة أردنية
كانت تمسك جرحها ، ولكنهم لم تحرك ساكناً .

ثانياً — كان الجيش الأردنى أقرب الجيوش العربية إلى مدينة القدس ،
وكان من الطبيعى أن يزحف إليها يوم دخلت الجيوش العربية فلسطين
فى ١٥ مايو ، ولكنهم لم يفعل ، وظل أربعة أيام لا يبدى حراكاً ، بينما
كان اليهود يهاجمونها بقوة حتى استولوا على أحيائها الجديدة ، وكادوا
يستولون على أحيائها القديمة لولا دفاع المجاهدين الفلسطينيين ، ولولا أن
الكونوليل الأردنى عبد الله التل أخذ بأيديهم — مخالفاً بذلك أوامر قائد

الجيش الأردني جلوب الإنجليزى — واستطاع المجاهدون الفلسطينيون والقائد عبد الله التل استرجاع القدس القديمة . وحينذاك دخلها الجيش الأردني دخول الظافرين .

ثالثاً — من مدن فلسطين المهمة مدينتا « اللد » و « الرملة » وبهما أكبر مطار في فلسطين ، وهو من أكبر مطارات الشرق . واللد ملتقى سكك حديد فلسطين وخط سكة حديد الحجاز . وكان الجيش الأردني في هذا الوقت الذى كانت فيه الحرب دائرة بين العرب واليهود يحتل هذه المنطقة الاستراتيجية الحيوية . ولكن قائده الإنجليزى جلوب أمر بتجريد قوات الجهاد المقدس فيها وكذا سكانها العرب من أسلحتهم ، ثم أمر بانسحاب الجيش الأردني ، فاحتلها اليهود دون مقاومة .

وفي هذه الفترة كان الجيش المصرى يزحف من الجنوب إلى الشمال معتمداً على معونة الجيش الأردني في اللد والرملة ، وكان الجيش العراقى يزحف من الشمال إلى الجنوب ، فلما انسحب الجيش الأردني انكشف جناح الجيش المصرى ، وأصبح معرضاً لسكراتة كبرى ، ولم يستطع الجيش العراقى أن يتقدم لمعونة الجيش المصرى واضطر لأن ينسحب إلى منطقة طوالكرم .

رابعاً — تواترت الأنباء أن العراقيين رغبوا في نجدة الجيش المعري ، وطلبوا أن تمر قواتهم عبر شرق الأردن لينجدوا قوات الفالوجا ، لكن القائد جلوب عارض في هذا ، وبقيت القوات المصرية وحدها في الميدان .
خامساً — في سنة ١٩٤٨ هاجمت القوة الأردنية المجاهدين الفلسطينيين في منطقة رام الله ، وكانت تبغى الاستيلاء على مقر قيادتهم ولكنها لم تفلح فأعادت الكرة في يناير سنة ١٩٤٩ وأرسلت قوة مصفحة استولت على المكان ، وشردت المجاهدين ، وأخذت أسلحتهم وذخائرهم .

سادساً — قررت هيئة الأمم المتحدة في ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٩ تدويل مدينة القدس — مع أن الكونت برنادوت كان يرى ضمها إلى فلسطين العربية — وقد وافقت الحكومات العربية على تدويل القدس ، لأنها است تآهب اليهود للهجوم عليها ، وعدم إمكان الاعتماد على حكومة شرق الأردن في صدم ، فخافت وقوع القدس في أيدي اليهود وقبلت تدويلها . أما حكومة شرق الأردن فقد عارضت تدويل المدينة ، وشذت عن إجماع الحكومات العربية . وترى حكومة شرق الأردن من وراء ذلك إلى تسليم القدس الجديدة إلى اليهود نهائياً والاعتراف بملكيتهن لها ، على أن تكون القدس القديمة ملكاً خالصاً لشرق الأردن .

ولا ندرى كيف استساغت حكومة شرق الأردن في ذلك العهد امتلاك القدس القديمة ، مع أن هذا لا يتفق مطلقاً مع ما صرح به المرحوم الملك عبد الله من أنه لا ينبغي منفعة شخصية أو فائدة ذاتية . ولا يتفق مطلقاً مع قرارات الجامعة العربية التي وافقت عليها حكومة شرق الأردن .

سابعاً — قامت بفلسطين حكومة عربية مستقلة ، مؤيدة من الجمعية التأسيسية التي انعقدت في مدينة غزة ، وبادرت حكومات الجامعة العربية بالاعتراف بها إلا حكومة شرق الأردن ، فإنها لم تفعل — بضغط إنجلترا طبعاً — واصطنعت مؤتمر « أريحا » وسأقت إليه من أهل فلسطين نفرأ من كانوا تحت إمرتها وسلطانها ، لا يملكون حرية القول والعمل ، ولا يستطيعون دفع الأذى عن أنفسهم في هذه الحنة القاسية التي نكبتهم بألوان من العوز والضيق والبؤس والبلاء . وفي هذا المؤتمر ، ومن هؤلاء النفر القليل المغلوب على أمره ، بويح الملك عبد الله على ما تحت يده من أرض فلسطين ، وانهت هذه المأساة بأن باركها وأيدها مجلس وزراء شرق الأردن في ذلك الحين ، إذ قرر الموافقة على ما ارتآه مؤتمر أريحا (من ضم ما بقي من فلسطين إلى المملكة الأردنية) . وأبلغ القرار إلى جامعة الدول العربية ، فاحتجت على هذا القرار المنافي لجميع التعهدات التي تكونت

بمقتضاها جامعة الدول العربية ، والتي دخلت بمقتضاها الحرب لإنقاذ فلسطين من خطر الصهيونية . وقد وقت مصر بعهدا فلم تفكر في ضم قطاع غزة إلى أملاكها .

ثامناً — لم تكثف حكومة شرق الأردن في ذلك العهد بتسليم منطقة اللد والرملة ، وترى قراها على خمس عشرة قرية ، إلى اليهود ، بل سلمتهم بإيعاز إنجلترا بعد اتفاقية رودس في ٣ إبريل سنة ١٩٤٩ مساحات كبيرة من منطقة نابلس — جنين — طولكرم . وفي منطقة بيت لحم — الخليل .

ومما يوجب الأسى أن منطقة نابلس — جنين — طولكرم ، كان يحتلها الجيش العراقي . ومنطقة بيت لحم — الخليل ، كان يحتلها الجيش المصري . وقد سلم الجيشان المصري والعراقي هاتين المنطقتين إلى الجيش الأردني — أي إلى جلوب باشا — لاعتبارات عسكرية ، بعد أن تعهدت الحكومة الأردنية رسمياً بالمحافظة على عروبة تلك المناطق .

فهل وقت الحكومة الأردنية في ذلك الزمن بمحافظها على عروبة هذه المناطق بتسليمها لليهود !!

وإن الإنسان ليدرك خطورة هذا التسليم إذا عرف مدى انفساح رقعتها، وما تحويه من مشروعات عمرانية وأرض زراعية خصبة .

منطقة نابلس — جنين — طواكـرم تبلغ مساحتها ٥٢٥٠٠٠ دونم، أى حوالى ١٣٠٠٠٠ فدان ، وهى من أخصب أراضي فلسطين الزراعية ، وبها أكثر من سبعة آلاف فدان من البرتقال وغيره ، وكل سكانها من العرب ليس بينهم يهودى واحد ، ويسكنون قرى عربية أشهرها : أم الفحم ومنذلة والمزار والجله ومقيبلة وعار وعرة وباقة الغربية وقلنسوة والطيبة والطيرة وكفر قاسم وجلجوليه .

ويخترق هذه الأراضي العربية خط سكة حديد بين حيفا واللد وطوله لا يقل عن أربعين كيلومترا ، وطريق الحضرية — العقولة ويحيط به مرتفعات لها قيمة حربية كبرى .

ومنطقة بيت لحم — الخليل ، تشمل قرى: وادى فوكين ودير الشيخ والقبو والدير وعلين والجمة وادنا وحيسان والولجة والحنية ونصف قرية بيت صفاقا وأراضي قريتي بتير وطباليا .

وسلمت الحكومة الأردنية فى هذه المنطقة أيضا معسكر العلمين وقسما من جبل المكبر المطل على القدس ، وقسما من خط سكة الحديد من محطة

القدس إلى محطة صرتوف — القريبة من الرملة — وبهذا أصبح خط
سكة الحديد بين القدس واللد ويافا في حوزة اليهود .
وسلمت خمسة وعشرين كيلومتراً من الأراضي الواقعة غربى شاطئ
البحر الميت .

وحاول الأهالى العرب مقاومة الاحتلال اليهودى فى هذه المناطق ،
ولكن قوات الجيش الأردنى أرغمتهم على التسليم ، وسلط عليهم جلوب
من وسائل البطش والجبروت ما جعلهم يذعنون صاغرين .

تاسعاً — أثار تسليم هذه المناطق شعور العرب فى فلسطين ، وأهاج
نفوسهم ، فقامت مظاهرتان كبيرتان فى ١٠ مايو سنة ١٩٤٩ احتجاجاً ، على
هذه المنكرات ، إحداهما فى نابلس ، والأخرى فى طولسكوم ، فبطش
الجيش الأردنى — بأمر جلوب — بالمظاهرين بطشاً عنيفاً وشتت
مظاهرتهم ، ولكنه لم يخذ ما فى نفوسهم من نقمة وغضب على فعال
جلوب باشا ، من تسليم بلاد عربية إلى اليهود بدون قتال .

عاشراً — مما يزيد فى الألم أن حكومة شرق الأردن أرادت أن تجعل
من ضم ما ضمته إليها من فلسطين عملاً شرعياً لا غبار عليه ، فكوّنت
البرلمان الأردنى وأدخلت فيه أعضاء ليمثلوا عرب فلسطين ، وعرب فلسطين

إذا تركوا أحراراً ، وبعدت عنهم أسباب الإكراه والعنف لا يرضون بمثل هذا الوضع الشائن ، الذى يمزق وطنهم شر ممزق ، ويجعله لقمة سائغة للمعتدين والمغرضين .

والأسلوب السكريه الذى استعملته حكومة شرق الأردن — وقتذاك — فى حشد الناس لمؤتمر « أريحا » هو الأسلوب نفسه الذى أكره به عرب فلسطين فى اختيار أعضاء البرلمان الأردنى ، فعرب فلسطين مأخوذون بما حاق بهم وبوطنهم وإنسانيتهم من اضطهاد وتشريد وبؤس وامتهان . وقد قامت مظاهراتان فى (نابلس) فى ٣١ مارس وأول ابريل سنة ١٩٥٠ نشرت الصحف أنباءهما . وذكرت أن المظاهرين من وجهاء نابلس وشبانها المتقفين ، قد سيقوا مكبلين بالأغلال ، مشاة على الأقدام ، تحت ضرب السياط ، مسيرة ثلاثين كيلومتراً ، حتى سقط عدد كبير منهم متأثراً بالظمأ والألم ، ومات أحدهم وهو المرحوم السيد « روحى زيد الكيلانى » . وبعد أن ذاقوا هذه الألوان من العذاب شحنوهم كما تشحن الماشية فى « لوريات » إلى عمان ، وهناك أودعوا غياهب السجن ، ولم يطلق سراحهم إلا بعد أن تمّ للحكومة الأردنية — أى لجلوب — ما أراد من سلطان جديد . وتكررت هذه المأسى فى الخليل وغيرها

من بلاد فلسطين .

حادى عشر — وقد تواترت الأنباء أن جلالة المرحوم الملك عبد الله ذهب إلى « العقبة » في شهر فبراير سنة ١٩٥٠ ، واجتمع هناك بابن غوريون رئيس وزارة إسرائيل ، على ظهر مدمرة انجليزية اسمها « مالك فاي » وانهما وقعا معاهدة صلح بالأحرف الأولى من اسميهما . وقد أنكرت حكومة شرق الأردن توقيع معاهدة صلح ، واسكن الجامعة العربية مبالغة في الحيلة والحذر ، قررت في ١٢ ابريل سنة ١٩٥٠ فصل أية حكومة عربية تمقد صلحا منفرداً مع إسرائيل . وصدر هذا القرار باتفاق جميع الدول العربية ، ومن بينها حكومة شرق الأردن . ولما صدر قرار البرلمان الأردني في ٢٤ ابريل سنة ١٩٥٠ بضم جزء من فلسطين إلى شرق الأردن ، دعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ، وبعد المناقشة رأيت غالبية الدول العربية أن في عمل حكومة شرق الأردن مخالفة صريحة لميثاق جامعة هذه الدول وإنها تستحق بسببها الفصل من الجامعة . ورأى بعضها الآخر أن عمل شرق الأردن مخالف لقرار مجلس الجامعة ، واكتفى بأن طلب إلى مندوبيها أن تعلن أن هذا الجزء من فلسطين وديعة لدى حكومتها تردّها إلى أصحابها ، ولكن حكومة شرق الأردن رفضت أن تعان عدولها عن التمسك .

نخلص من هذا كله إلى أن حكومة شرق الأردن إفي ذاك العهد ،
بفضل ضغط انجلترا اقترفت مخالفات خطيرة شائنة ، أحكم الانجليز تدبيرها ،
ورسموا خطوطها ، فأصبح لليهود في فلسطين مركز منيع ، وسيادة .
لم يكونوا يحملون بها .

وضع اليهود أيديهم على أكثر المساحات اتساعاً وخصوبة ، وملكوا
من فلسطين العربية نحو ثلاثة أرباع مساحتها . وما بقي تحت يد حكومتى
شرق الأردن ومصر نحو الربع .

أضف إلى ذلك أن اليهود قد أقاموا خطاً عسكرياً من شرق غزة
على البحر المتوسط حتى المرشوش في خليج العقبة على البحر الأحمر .
وبذلك وضع الأسفين الفاصل بين إفريقية العربية وآسيا العربية . وتم
تمزيق البلاد العربية ، وفصلت مصر عن سوريا ولبنان والعراق .

وما ذكرناه يثبت أن هذه الأعمال كانت بوحى وتدبير من القائد
الإنجليزى للجيش الأردنى ، يؤيده في ذلك المعتمد السياسى البريطانى في عمان .

الشعب الأردني والعراقي :

وإني إذا ذكر تصرفات إنجلترا وجلوب ، تلك التصرفات التي عملت
بأسم شرق الأردن ، وأبسط من صفحات أعمالها ما يسوء كل عربي .
فإني أقدر الشعب الأردني كل التقدير ، فهو كسائر الشعوب العربية ،
يتوق إلى العزة ، ويحفظ العهد ، ويبغى أن يعيش حراً كريماً . ولكن
شاعت السياسة البريطانية في شرق الأردن أن تسكت شعور الشعب ،
وتسكت إرادته ، وتضع في سبيله العقبات فيسكت مكرهاً على هذه
الأوزار . ولو تركت له حريته ، لتغيرت الحال ، وأصبحت الحكومة
وليدة إرادته . وحينئذ لا تشذ حكومته عن ركب الجامعة العربية ، بل
تسكون حادية الركب ، تنشد أنشودة العروبة التي تتخذ من ماضيها عدة
للمحاضر والمستقبل .

وأعرف في الشعب العراقي كذلك إبادته ووطنيته الصحيحة . أعرف
أنه يصبو إلى عيش كريم ، في ظل الأخوة العربية . لا ينساق وراء الغايات
الجامحة ، التي تفرق بين الأخوة ، وتجعل من الحياة الآمنة الهادئة حياة
قلق وفتن واضطراب . أعرف الشعب العراقي في طهارة غاياته ، ونبل
أهدافه .

لسكن سلطة الاستعمار أبت في ذلك الحين إلا أن تحبس في الشعب-
حرية وإرادته .

والشعب يسعى جاهداً في استكمالها ، ويقوم الأحرار من رجاله وقادته-
بجهود جبارة تدل على حقيقة شعور الشعب ، وعلى ما ينشده من آمال
وأعمال . ومن آيات ذلك فيما نحن بصددده من قضية فلسطين :

١ — تصريح الأستاذ الكبير محمد مهدي كبة الوزير السابق ، ورئيس
حزب الاستقلال العراقي في جريدة (لواء الاستقلال) العراقية الصادرة في
٢٦ إبريل سنة ١٩٥٠ حيث قال :

« تلقينا بأسف نبالاً هذا الضم — أي ضم شرقي فلسطين إلى شرق
الأردن — الذي لم يكن في نظرنا له أي مبرر في الوقت الراهن ، لاعتقادنا
أن إقراره وإعلانه سيخدم أغراض الصهيونية ، ويقوّى محاولاتهم على
فرض الأمر الواقع .

وقد كان أجدى بحكومة شرق الأردن ، وهي تدبر شؤون هذه الأقسام
العربية إدارة فعلية أن تترىث في الإقدام على هذه الخطوة ، وتجد في التعاون
مع الحكومات العربية لاستخلاص الأجزاء الأخرى التي عدا عليها اليهود ،
والتي تجاوزت حتى حدود التقسيم الذي أنكره العرب ، وفرضته الأمم

المتحدة ، ومنها أجزاء من المثلث العربي الذي سلمه شرق الأردن من غير حرب . هذا فضلاً عما في هذا الإجراء من تحد صارخ لقرارات جامعة الدول العربية ، وما يؤدي إليه من شقاق بين الأردن والجامعة . وفي نظرنا تقع المسؤولية الأدبية في الدرجة الأولى على السياسة البريطانية ، التي لا يجهل أحد نفوذها على حكومة شرق الأردن ، وما كنا نرجو أن يبلغ الانصياع بهذه الحكومة حد إيجاد مبرر لليهود بإعلان هذا الضم للتلصص حتى من مقررات الأمم المتحدة ، ومد سلطان إسرائيل إلى الحدود القائمة اليوم .

٢ — تصريح السيد فائق السامرائي نائب حزب الاستقلال العراقي إلى جريدة « المصري » في ١٨ مايو سنة ١٩٥٠ تعليقاً على قرار اللجنة السياسية ، إذ قال :

« إننا نؤيد هذا القرار ، لأنه الطريقة الوحيدة للتخلص من هذا الموقف المتكرر الذي وقفه الأردن . وقد سبق أن طالبت باقصاء الأردن عن حظيرة الجامعة ، وأرى أن من واجب الحكومة العراقية ألا تتأخر عن موكب الدول العربية في إبرامها لهذا القرار » .

٣ — تصريح السيد كامل الجادرجي ، الوزير السابق ، ورئيس الحزب الوطني العراقي إلى جريدة المصري في ١٨ مايو سنة ١٩٥٠ ، تعليقاً

على قرار اللجنة السياسية ، حيث قال :

« إن قرار اللجنة السياسية كان معقولا بالنظر (للأسر الواقع) الذي خلّفته الأردن » .

وتصرّح آخر لسيادته قبل اجتماع اللجنة السياسية في جريدة النداء البيروتية ، قال فيه :

« إن الحكومة الأردنية بقرارها هذا قد تحملت الآن مسؤولية عمل خطير يضر بمصلحة البلاد العربية ، ويتنافى مع آماني الشعب العربي الفلسطيني ، فمن واجب الجامعة العربية أن تبادر إلى معالجة الموقف بكل حزم ، مهما تطلب الأمر من إجراءات » .

هذا ما أعلنه حزب بان كيران في العراق .

وليس ما صنّعه انجلترا في الأردن إلا جزءاً من برنامج تريد من ورائه أن تثبت أقدامها في الشرق الأوسط وأهم ما في هذا البرنامج ما يأتي :

١ — إنشاء شيء اسمه دولة إسرائيل ، حتى تكون كالسرطان في جسم الأمم العربية ، فلا يقوى جانبها ولا يشتد ساعدها ، فينال الإنجليز منها ما يريدون .

٢ — استغلال سيطرتها على شرق الأردن واحتلالها إياه استغلالاً يخدم الاستعمار البريطاني ، ويكبت شعور الشعب الأردني ويهدد مصالح العرب ومستقبلهم .

٣ — محاولة اتخاذ الجامعة العربية أداة لتنفيذ السياسة الاستعمارية ، كما اتخذت حكومة شرق الأردن من قبل .

٤ — محاولة تنفيذ ما يسمونه مشروع سوريا الكبرى أو المسال الخصب . وفي سبيل ذلك تنكرت إنجلترا لحليفها فرنسا ، التي سمحت لها باحتلال سوريا ولبنان ، بمقتضى معاهدة « سيكس — بيكو » . تنكرت لها وأقصتها عن هذين القطرين ، ثم أطلقت مأجوريها يروجون لهذا المشروع الخطير ، ويعملون جاهدين لتحقيقه .

وأخشى أن تدور السياسة البريطانية الصهيونية دورتها ، وتعرض البلدين الشقيقتين لمأساة قد تشبه مأساة فلسطين .



فنحن أمام قوى غاشمة جائرة ، تريد بنا السوء والأذى ، وتتناون على إلحاق الضرر بنا ، والفتك بمصائرنا .

وعلينا أن نتضامن على درء هذا العدوان . وأن نكون في عملنا هذا

مرحاء أمناء . وأن نفهم أن لاحتياة بغير وطن ، ولا وطن بغير حرية ،
ولا عروبة إذا لم تظللها حرية الأوطان وقوتها .

نحن الآن في محنة ، فلنتواصل على أن نجتازها ، أقوى ما نكون
إيماناً بالله الذي يرعى الحقوق ، ولا يحب المعتدين « يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ، ودّوا ما عنيتُمْ ، قد بدت
البغضاء من أفواههم . وما تخفي صدورهم أكبر . فقد بينا لكم الآيات
إن كنتم تعقلون » .

الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل

كان للولايات المتحدة الأمريكية من سنين طوال ، ممثل سياسي في
مصر هو الدكتور « هاول » الوزير المقوض ، وكان محبوباً لدى المصريين ،
فلما ترك وظيفته أقيمت له حفلة توديع ألقى فيها كلمة جاء فيها ما معناه :
« يجب أن تتمسك الدول في سياستها بالمثل العليا في النزاهة والحق ،
ويجب أن يتعامل بعضها مع بعض بشرف وأمانة ، كما يتعامل الأفراد
الشرفاء » .

وكان لهذه السكلمة أثر عميق في النفوس ، واعتقد المصريون أن هذا
(م — ١١ فلسطين)

الممثل السياسى إنما يعبر عن حقيقة سياسة دولته ، وأكّد اعتقادهم مظهر السياسة الأمريكية فى ذلك الحين ، وبعدها عن الأغراض الاستعمارية ، وما عرفوه عن الأمريكيين من أنهم سلالة أحرار ، هاجروا إلى الدنيا الجديدة ، فراراً من الظلم وضيق العيش وطلباً للحرية والعدالة ، وقد استغلوا أرضهم وانتفعوا بخيراتها ، ووصلوا ببلادهم إلى الثراء والقوة ، حتى تبوّأت المركز الأول فى العالم ، فعمدت عليها الأمم المستضعفة آمالها فى الحرية والاستقلال ، وتطلعت إلى عونها المادى والأدبى ، حتى تصبح فى محبوبة من العيش ، تعصمها من اعتناق المبادئ الهدامة ، وكنا نرجو أن يسعى ساسة أمريكا إلى الأخذ بناصر الأمم العربية ، ومساعدتها على النهوض ، لتصبح حصناً من حصون الحرية تنقى به الخطوب فى الشرق ، وكتلة قوية تصد كل اعتداء آثم ، يهدد السلام العالمى الذى تتوق إليه الإنسانية الرفيعة . هذا إلى أن الشرق الأوسط يحوى أكثر من نصف بتروى العالم ، فإذا بقى فقيراً مظلوماً ، أمكن أن تنمو فيه المبادئ الهدامة ، رغم نفور أهله من الشيوعية بفضل دينهم وتقاليدهم ، فإن الفقر والظلم يدفعان المرء إلى مالا يحب ويرضى ، وإذا ظل مهبط النجاس ، مجرداً من كل قوة ، محروماً من كل عون هان اجتياح بلاده ، واستغلال خيراتها

والوصول عبره إلى المحيط الهندي ، وبذلك تكون الكارثة على الغرب ، قبل أن تكون على الشرق .

تلك ينابيع البترول في العراق ومصر ، وفي الكويت والبحرين ، وفي المملكة العربية السعودية وإيران ، تتدفق في بلاد غاضبة تشكو الظلم ، وتقاسى الحرمان ، وتمس بمرارة من السياسة الأخيرة التي انشاق إليها ترومان وشيعته . فما الذي اتخذته أمريكا لتجذب تلك الشعوب ، وتقنعهم بصداقتها ونزاهتها السياسية التي صدعها بأعماله ترومان وصحبه . إن هذه البلاد الشرقية أصبحت حساسة إلى درجة الاقتناع بأن ترومان قلب الصداقة عداوة ، والثقة نفورا .

وإني وأنا من أبناء الشرق ، وجزء منه ، أحس بما يحس به من امتعاض وأسف ، أرجو مخلصاً أن ترجع أمريكا عن خطة ترومان ، وأن تعيد إلى النفوس الطمأنينة كاملة ، ففي هذا نفع للطرفين ، واطمئنان يرد الشرق إلى الاعتقاد بأن أمريكا العظيمة ما زالت هي أمريكا القديمة ، تسعى مع الشرق في رفع شأنه حتى يكون سداً منيعاً ، وقوة لا يستهان بها في صد أي عدوان يهدده ، ويقضى فيه على المصالح الحيوية التي تخدم المدنية والعدالة ، ويودي بالسلام العام .

ولسكن العرب بعد الذي رأوه من تصرفات ثرومان وشيعته فجعوا
في آمالهم التي علقوها على الولايات المتحدة ، وظنوا أنها تنكرت لمبادئها
السامية ، وما زلنا نرجو أن يفيق ساسة أمريكا ، ويدركوا أن صدمة
فلسطين كانت من الشدة بحيث كادت تقضى على كل أمل في المثل العليا ،
التي نشرتها أمريكا على العالمين .

إني لا أخفي ما يعتقد العرب والشرقيون من أن الولايات المتحدة
الأمريكية العظيمة تسير في ركاب السياسة البريطانية ، ونخطو وراء دواتي
الاستعمار — إنجلترا وفرنسا — اللتين أذلنا الشرق والعرب ، وما زلنا
تستذلانهما إلى الآن .

أليس عجباً أن أمريكا العظيمة ، رافعة علم الحرية في العالم ،
والمدافعة عن حرية الأمم ، ترى العسف البريطاني والفرنسي يحول ويحول
في بلاد المغرب العربي ، وفي مصر ، وبلاد الشرق الأدنى ، وفي الهند
الصينية وغيرها ، ثم تسكت عنه ؟ أليس عجباً أن تساعداتين الدواتين
على اقتراف الآثام التي تطالعنا بها الصحف كل يوم من سجن وتعذيب
وتقتيل ، ومن استنزاف أموال الأبرياء الوادعين ؟

أليس عجباً أن تساعد الولايات المتحدة وتشجع على طرد شعب فلسطين

من وطنه ، وتشريدته وتقتيله ، وإحلال خليط من الشعوب محله ١٩ .
كيف ترضى أمريكا بهذا كله ؟ وهي التي قاست ما قاست من ولايات
الحكم الإنجليزى فى بلادها ، وكالفت وضحت حتى استردت حريتها
وكرامتها .

كيف ترضى وهى المجاهدة فى سبيل الحرية والاستقلال ، أن يسود
الاستعباد بلاداً تتوق مثلها إلى الحرية ، وكيف تساعد على خنق شعب
كشعب فلسطين ، وتمدد غاصبيه من الصهيونيين بالمال والذخيرة ، وتعلن
حمايتها لدولة اليهود المصطنعة ، ضاربة بقواعد الحرية ، وبكل المثل العليا
عرض الأفق ؟

كيف يرضى أمريكىو الولايات المتحدة — وهم الأبناء الروحانيون
لجورج واشنطن ، وإبراهيم لنكولن — أن يحلوا محل الإنجليز فى الإجهاد
على فلسطين ، متذكّرين لمبادئهم الأولى فى تأييد حرية الأمم وحماها فى
تقرير مصيرها ؟



لقد انسأقت أمريكا وراء سياسة لويد جورج وكلمينصو الاستعمارية ،
ونخذلت رئيسها الدكتور ولسن ، وطرحت بمبادئه الأربعة عشر ، ووافقت على

انشاء وطن قومي لليهود ، وشجعت هجرتهم إليها ، ودفعت هيئة الأمم المتحدة إلى إقرار التقسيم في فلسطين ثم رجعت عنه بعد ذلك ، ودفعتها إلى تقرير عدم التقسيم وإعلان وجود دولة اسمها اسرائيل ، وضمتها إلى هيئة الأمم كعضو فيها ، وأعلنت عزمها على المحافظة على هذه الدولة ومناصرتها . وأدهى من ذلك كله أن تتغاضى عن إعادة المشردين من العرب إلى موطنهم ، وتعويضهم عما أصابهم ، رغم ما يقاسونه من آلام المرض والفقر والجوع والحرمان . وفي الوقت نفسه أجبرت ألمانيا والنمسا على دفع تعويضات إلى دولة اسرائيل ، لما أصاب اليهود من خسائر في حركة هتلر ، وهذه التعويضات تساعد اسرائيل على التسليح والتعدي ، والاعتداءات التي تراها .

وهاهي ذي اسرائيل المدللة تغير على الأردن وغيرها ، هازئة بقرارات هيئة الأمم ، آملة أن توسع ملكها على حساب جاراتها ، ومع ذلك فإن هيئة الأمم لا تعمل حيالها شيئاً ، ثم هي تسعى في أخذ مياه نهر الأردن بوسائل تعرفها أمريكا جيداً ، ولا تصدها عن مطامعها .

ماذا تنتظر أمريكا من اليهود ؟ أنها لن يصيبها منهم إلا ما أصاب أنجائرا التي أصدرت تصريح بلفور ، وبذلت غاية الجهد في خلق دولة يهودية ، فلما تراخت نوعاً ما في تنفيذ بعض مآرب الصهيونيين انقلبوا عليها . فأهانوا

ضباطها وجنودها ، وعذبوهم ، وقتلوا من قتلوا ، وجأهروها بالعداء والسباب .
وسيكون مآل امريكا نفس المآل ، عد ما تبذل لليهود كل ما في طوقها من عون
وتأييد . فليس لليهود أصدقاء ، وإنما لهم براميج وقرارات وأهداف ، يحرصون
أشد الحرص على تنفيذها ، ويعادون كل من يقف في سبيلهم ، أو يتراخى
في معونتهم ، مهما يكن قد بذل من عون في سبيل تنفيذ مآربهم الجهنمية .

* * *

ها نحن أولاء قد بسطنا بعض مظاهر الانحراف في السياسة الأمريكية ،
وشرحنا كيف تورط بعض ساسة أمريكا - وعلى رأسهم ترومان - في
المساهمة في أعمال الظلم والجور ، التي أدت إلى نكبة فلسطين العربية .
وأراني هنا بحاجة الى إضافة وقائع أخرى ، ننقلها باختصار عن الكاتب
الانجليزى المعروف «دوجلاس ريد» من مؤلفه «في جهة ما جنوب السويس»
استعرض فيه الحركة الصهيونية ، وقال تحت عنوان «نهضة صهيون» ما يأتي :
«تختلف الصهيونية عما عداها ، كالامبراطورية الرومانية مثلاً في أن
الأخيرة في سيطرتها على العالم ، كانت مجسمة محددة ظاهرة ، في حين أن
الأولى بدأت حركة سرية ، تسعى إلى القوة والسيطرة ، عن طريق التسلط
على أولى الأمر في جميع البلاد ، وقد نجحت في هذا المضمار إلى حد كبير

وحققت الصهيونية ما حققته في نصف قرن من الزمان ، إذ بدأت أولى همساتها في سنة ١٨٨٢ على أرض روسيا ، وفي سنة ١٩١٧ بعد الحرب العالمية الأولى جاء تصريح بلفور نتيجة لضغط وتأثير على الحكومة البريطانية من أشخاص مجهولين للرأى العام ، وبدأ التصريح ينظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، كما صرح وزراء إنجلترا بأن المقصود هو وطن وليس دولة صهيونية ، ولكن ما لبث أن استدرج المهاجرون اليهود إلى هناك تحت الحُكم البريطاني حتى وصلت نسبة اليهود إلى ثلث عدد السكان ، بينما لم تزد نسبتهم في سنة ١٩١٧ على ٧ - سبعة من مائة . وأمام اعتراض البلاد العربية على الهجرة ، وخشية اندلاع حرب ضروس قررت الحكومة البريطانية ألا تسمح بهجرة اليهود إلا إذا رضى عنها العرب ، فقامت حرب عظمى في أوروبا .

« وقد أثبتت الحرب العظمى الثانية في نهايتها أن القوتين الرئيسيتين في العالم ، رغم ما بينهما من خلاف ، اتفقتا على أمر واحد جوهرى هو اتساع الإمبراطورية الشيوعية ، وإنشاء الدولة الإسرائيلية . ولم تكن الدولة الصهيونية من أهداف الصراع الأخير ، ولم يعلن عنها عند تعبئة الشعوب للحرب ، ومع ذلك فإن هيئة دوليسة سميت باسم هيئة الأمم المتحدة سلمت

أرض العرب المسلمين إلى غاصبها من شرق أوروبا وقدمت لهؤلاء
الأخيرة الأموال والأسلحة والمجاهدين من أمريكا وروسيا . وقد
شكا وزير صهيوني من أن ما تطلبه عملية إنشاء دولة إسرائيل من
نفقات بلغت مائة مليون من الجنيهات ، لم يقدم لها من الخارج سوى
٢٥ مليونا فقط .

« وفي هذه القضية وحدها أجزى الاغتصاب والتعدي . وتخلي العالم
الغربي عن تعاليمه ومبادئه التي حارب من أجلها حربيين عالميتين . ولم
يعرف التاريخ فضيحة كهذه من قبل . وعلى هذا النحو أثبتت هيئة الأمم
المتحدة أنها منظمة أشد خطراً ، وأكثر ضرراً من عصبة الأمم القديمة ،
فقد خلقت للعالم الغربي في بلاد العرب مشكلة أكبر من مشكلة
وسط أوروبا .

« وهكذا بدأ الحلم الصهيوني خطوانه الأولى ، منذ تصريح بلفور
في الحرب العالمية الأولى ، فحقق أول أغراضه بإنشاء الدولة الصهيونية
في الحرب العالمية الثانية .

« وإليك الطريقة التي حقق بها الصيونيون أطماعهم ، وتسلبوا بها
على من بيدم الأسر في العالم . وخاصة الولايات المتحدة .

« في نهاية الحرب العالمية الثانية طالب الرئيس ترومان بهجرة مائة ألف يهودى إلى فلسطين ، رغم ما صرح به الرئيس المذكور في خطابه للبرلمان سنة ١٩٤٧ من أن أمريكا لن ترضى عن حكم شعب بغير إرادته ، وسوف تدافع عن حق تقرير المصير . وبعد بضعة أشهر وافقت هيئة الأمم على تقسيم فلسطين وإعطاء النقب لليهود . والجليل للعرب . للعرب .

« وفي مارس سنة ١٩٤٨ حاول وكيل وزارة الخارجية المستر مارشال إقناع الرئيس ترومان بخطر التقسيم على فلسطين ، وما قد يثيره القرار من حرب هناك . ولكنه لم يفلح ، إذ أعلن الرئيس ترومان اعترافه قبل جلاء القوات البريطانية عنها ، وكان ذلك الإعلان في ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ . وكان الاعتراف مفاجأة لمدوب الولايات المتحدة في اجتماع هيئة الأمم ، وقد استقال على الأثر المستر مارشال ، خصوصاً بعد إعادة انتخاب ترومان .

« وقد نشبت الحرب في فلسطين وقت انشغال بعثة أمريكية في إجراء مفاوضات بين العرب واليهود . واشتدت الحرب إثر إعلان

ترومان اعترفه بدولة إسرائيل ، مما حدا بهيئة الأمم أن ترسل وسيطاً ليهو
النزاع ودياً ، وهو « الكونت برنادوت » .

« وما كاد الوسيط ينتهي إلى قراره بأن يعطى النقب لليهود ، والجليل
العربي للحرب ، وإلا فليترك النقب للعرب ، يأخذ اليهود الجليل العربي ،
حتى قتل بأيدي عصابة إرهابية اسمها عصابة « شترن » ورغم جسامه
الجريمة ، وعظم شخصية الوسيط المقتول لم تتخذ إجراءات العقاب الكافية ،
بل استقبل عمدة نيويورك أحد أفراد العصابة المذكورة باحتفال رائع ،
اشتركت فيه موسيقى البوليس .

« وسر اهتمام اليهود « بالنقب » بل لعل السر في غزو اليهود لفلسطين
هو أهمية الحصول على « النقب » ، للوصول إلى البحر الميت ، الذي يحوى
ثروة عظيمة من المعادن ، كالمنجنيز والبوتاس وغيرها ، مما قدره العلماء في سنة
١٩٢٥ بمبلغ ٢٤٠ ملياراً من الجنيهات . ولما كانت اقتراحات الكونت
برنادوت هي العقبة أمام اليهود لتحقيق أحلامهم في ثروة البحر الميت ، فقد
حكوا عليه بالإعدام وقتلوه على الفور .

« وقد ساعد الصهيونيين على تثبيت أقدامهم في فلسطين ترومان في
أمريكا ، وحزب المحافظين في إنجلترا . وما يدعو إلى الحسرة حقاً أن هيئة الهجرة

الدولية التي تسندها الولايات المتحدة وانجلترا ، قررت حسب ما جاء في الصحف الصهيونية أن العرب المهاجرين غير خليقين بأية مساعدة ، بينما قررت في الوقت ذاته منح المقتصبين اليهود من الشباب منحة قدرها مليون جنيه لإرسال خمسين ألفاً من اليهود إلى فلسطين ...

« وما يدعو إلى العجب أنه حتى أعداء اليهود المعروفين كهتلر مثلاً وجورنج في ألمانيا ، والسير أزولا موزلي في إنجلترا ، كلهم وجهوا اهتمامهم إلى إنشاء وطن قومي لليهود ، وأن اختلفوا في مكان ذلك الوطن أيكون في ألمانيا ، أم في تنجانيقا ، أم في مدغشقر الخ ... ولكن لم يرض اليهود عن فلسطين بديلاً ، للسبب السابق بيانه وهو ثروة البحر الميت .

« وعلى أية حال فقد سيطر اليهود على رؤوس حكام العالم . وتحقق حلمهم بواسطة روسيا ، التي زعمت أنها عدو اليهود ، وقد أمدتهم بالزعماء والسلاح . وبواسطة أمريكا التي أمدتهم بالمال .

« وقد بلغت سيطرة اليهود على أصحاب النفوذ في جميع أنحاء العالم أن زعيم الارهابيين اليهودي ، ويدعى جابوتنسكي سخر من قضائه الانجليز سنة ١٩٢٠ ، وتحذاهم في المكان تنفيذ أحكامهم معها تكن ، وثبت

فعلا أن هناك قوة خارقة للعادة ، توقف تنفيذ الأحكام الصادرة ضد اليهود وتمعلها .

« وقد ورد في تقرير للجنة ملكية انجليزية أن الصهيونيين لهم إدارة للمخابرات على جانب عظيم من الدقة والمقدرة ، ويمكن القول بلا مبالغة أن للصهيونيين أقوى تنظيم سرى في العالم .

« والنتيجة الطبيعية لنجاح الحركة الصهيونية حتى الآن هي تضخم آمال اليهود ، واتساع أطماعهم . فلن يكتفوا بعد الآن بما حصلوا عليه من رقعة ضيقة من الأرض ، خصوصاً وقد دان لهم نفوذ قوى الحكم في العالم أجمع . وينظر اليهود إلى هيئة الأمم كأول خادم محقق لأغراضهم ، يتسلطون بها على باقى بقاع الأرض .

« ويبشر بقرب الغليان في منطقة فلسطين وما جاورها في المستقبل القريب أن الجزء الأكبر من الصهيونيين الموجودين في فلسطين ليسوا من اليهود فحسب ، وإنما هم من الشعوب الآسيوية أصلاً ، أولئك الذين يهدفون إلى السيطرة على العالم .

« ويرسم لنا خطوط الدولة الصهيونية ما صرح به زعمائها ومنهم ناحوم زوكوف . إذ قال في المؤتمر الصهيونى بكارلسباد سنة ١٩٢٢ (أن

عصبة الأمم فكرة يهودية . خلقناها بعد صراع دام خمسة وعشرين عاما)
« وفي سنة ١٩٢٣ قال فلاديمير جابوتنسكى فى المؤتمر الصهيونى الفرنسى
(أنه إذا رفضت بريطانيا اعطاء فلسطين لليهود ، فان اليهود سيكونون بمثابة
الحرك لاقضاء على بريطانيا) وفى مارس سنة ١٩٣٩ انضمت جميع بلاد
الكومنولث إلى بريطانيا ، وفى سنة ١٩٤٨ صوتت هذه البلاد ذاتها
ضد بريطانيا فى موضوع فلسطين .

« وفى سنة ١٩٤٨ جاء فى جريدة « فلسطين بوست » على لسان
الأستاذ هارولد لاسكى « أن الطلقات الأولى فى فلسطين بعد ١٥ مايو^(١)
ستكون أولى الطلقات فى سبيل الحرب العالمية الثالثة التى ستقضى على
مدينتنا الحديثة ، وهو عين ما قاله المستر مارشال لترومان من قبل .

« وفى مايو سنة ١٩٤٨ قال المستر أ . أبراهامز أحد كبار الصهيونيين
فى جريدة صهيونية (يجب أن ننظر إلى دولتنا كدولة قوية عظيمة تجمع
العلماء والقوة الفنية وغيرها ، حيث أنه لا يوجد اختراع أو سلاح لا يعرفه
اليهود ، أو لم يشترك فى صنعه يهودى . وما دمنا نعتبر أنفسنا فى حالة حرب ،
ونعد لهذه الحرب عدتها فان النصر النهائى سيكون حليفنا ، والنصر النهائى

(١) تاريخ انسحاب البريطانيين من فلسطين

يوم يعود جميع الأسرائيليين إلى أرض إسرائيل كاملة) .

« وفي سنة ١٩٤٨ قال المستر بن هخت وهو صهيوني بارز يعيش في أمريكا (في خلال الخمسة والعشرين عاما القادمة، أو الخمسين سنة القادمة ، ستحصل إسرائيل على الأرض التي تحتاجها ، وتصبح إحدى الدول الخمس الكبرى في العالم) .

« وفي سبتمبر سنة ١٩٤٩ قال صهيوني بارز آخر من أمريكا ومن أتباع ترومان في مجلس النواب ، وهو المستر أمانويل سار ، وذلك على صفحات جريدة النيويورك تيمز (قد يضطر الإسرائيليون إلى إعطاء العرب درسا جديدا ، وطعن قواتهم في الصميم ، ولكن في هذه المرة لن تشفع للعرب توسلات هيئة الأمم ، فسوف يتقدم اليهود إلى بيروت وعمان والأكندرية) .

« وفي نوفمبر سنة ١٩٤٩ قال المستر إلياس ساسون ، وهو مسئول إسرائيلي في وزارة الخارجية الإسرائيلية ، كما ورد في الصحافة المتحدة (أن اليهود على استعداد لمواصلة الحرب ، إذا رغب العرب في ذلك فالسلام الدائم أبعد الآن مما كان عليه في بداية العام) .

« تلك هي أطماع اليهود صريحة ، ولكن من هم الأشخاص الذين

يؤيدون هذه الأطماع؟ الغريب أنهم ليسوا من اليهود، وإلا لما كان لتأييدهم نفس القوة وتلك هي المأساة.

« والغريب أن الحجة التي طالما استند إليها اليهود في تبرير عدوانهم على أرض فلسطين تتلخص فيما زعموه من أنها أرض أجدادهم . والواقع أن الحركة الصهيونية تزعمها يهود أوروبا ، وهم من أصل أسيوى وليس لهم علاقة بفلسطين أصلا .

« وقد شرح ذلك أحد أرباب الصناعات من اليهود ، ولد في نيويورك وهو المستر بنيامين فريدمان إذ كتب في « الرسالة الاقتصادية » المنشورة في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٧ ، يقول (الصهيونية السياسية حركة يهود شرق أوروبا ، الذين لا علاقة لهم بأرض فلسطين أصلا ، وإنما هم من أصل مغولى أسيوى) .

« وطالما نبه المستر فريدمان إلى خطر الصهيونية على أمريكا نفسها ، قبل اعتراف ترومان بدولة إسرائيل ، ذلك الاعتراف الذى وصفه صاحبه بأن يوم صدوره كان أعظم أوقاته فخراً .

« وقد صرح أحد كبار الأمريكيين اليهود وهو المستر هنرى مرجانتاو بأن (الصهيونية أكبر بدعة في تاريخ اليهود) . ومثل المستر مرجانتاو

آخرون حاربوا الصهيونية ، وهم من اليهود ولكن تغلب عليهم زعماء سياسيون أمثال لويد جورج ، ولورد بلפור في إنجلترا ، وترومان وغيره في أمريكا . وهكذا تزعم الصهيونية ، ودعا إليها أناس غير يهود .

وجاء في نفس الكتاب تحت عنوان : انحطاط الجمهورية الأمريكية ما يأتي :

« من أهم أسباب الضعف في الولايات المتحدة تسلل الشيوعية والصهيونية إليها ، في غفلة من الحكومة ، وقد سهل ذلك قوة الدولة الأمريكية وثراؤها ، ومن ثم ضعف الرقابة والتهاون في محاربة الهجرة الجماعية ، وسوء استغلال أصوات الناخبين ، والتأثير على رجال الحكم ، ورؤساء الجمهورية .

« ومن أخطر مستشاري رؤساء الجمهورية ، وما زال باقياً إلى الآن المستر (برنارد باروخ) فقد صاحب الرئيس ولسن إلى مؤتمر السلام سنة ١٩١٩ ، وبقى ناصحاً لخمس رؤساء لاحقين هم : هاردينج ، كولدج ، هوفر ، روزفلت ، ثم ترومان .

« وقد انتشر نظام المستشارين اليهود غير المسئولين في نظام الولايات

(م — ١٢ فلسطين)

المبتعدة لدرجة أن القواد الأمريكيين في منطقة الاحتلال في ألمانيا
يستعينون بهم .

« وفي خلال الحرب العالمية الأولى كان المستر « باروخ » رئيساً
للجنة صناعات حربية ، لها من القوة ما يسمح لها بالسيطرة على كافة الصناعات ،
وأسلحة الجيش خلال الحرب . وقد سئل المستر باروخ بعد الحرب الأولى
أمام لجنة تحقيق برلمانية عن مدى سلطانه وقوته أثناء الحرب ، فأجاب بأنه
كان أقوى رجل في العالم ، فهو الذي كان يقرر لكل سلاح من أسلحة
الجيش حصته في الميزانية . كما كان يرجع إليه لمعرفة أي ميدان من ميادين الحرب
أولى بالاهتمام عما عداه . وفي خلال حكم الرئيس روزفلت حظى المستر باروخ
بسلطان لا حد له ، لدرجة أن مستر تشرشل قبيل الحرب الأخيرة قال له : إن
الحرب وشيكة الوقوع ، وإن المستر باروخ سيتولى إدارتها في أمريكا . وبعد
الحرب الأخيرة استرد المستر باروخ سابق قدرته ، ونفوذته العالمي ، إذ عين
رئيساً لهيئة على جانب عظيم من الأهمية ، هي هيئة تقدم الأبحاث الذرية .
وقد عهد مستر تشرشل بأبحاث بريطانيا الذرية التي كانت تسبق فيها باقي
بلاد العالم إلى المستر باروخ ليحتفظ بها كسر في أمريكا ، وليستعين بها
في تحسين الاختراع في بلاده . وقال تشرشل في سنة ١٩٤٦ — كما جاء في

جريدة يوركشير بوست — إنه لا يوجد أفضل من المستر باروخ لبودع لديه أسرار ذلك الاختراع الخطير...

«وكانت خطة المستر باروخ ترمي إلى إنشاء هيئة دولية تحتكر إنتاج القنابل الذرية وتشرف عليها ، وأن هذه الهيئة وغيرها هي التي تقرر متى تستعمل تلك القنابل وأين تلقى . ولا ريب أنه كان يهدف بذلك إلى إخضاع تلك القوة لسلطان اليهود ، الذين يسيطرون على الهيئات الدولية ، والذين سوف يقررون استخدام تلك القنابل ضد العرب ، لطردهم من فلسطين .

«ورغم ما أعلنه ترومان في أكتوبر سنة ١٩٤٩ من أنه يؤيد مشروع المستر باروخ سالف الذكر ، فإن تلك الهيئة الدولية لم يكتب لها الوجود بعد .

«ومما يدل على أن قرارات الدول العظمى لم تسكن في المدة الأخيرة ، وخاصة إثر الحرب العالمية الثانية وليدة إرادة الدولة أو برلمانها ، وإنما كانت وليدة تفكير بعض المستشارين ، وتأثيرهم على رؤساء الدول بصفاتهم الشخصية أن مشروعاً هاماً كمشروع معاقبة ألمانيا ، والذي يطلق عليه اسم مشروع مورجنتاؤه والذي ذيل بإمضائى روزفلت وتشرشل ، لم يكد

تعلن نصوصه حتى أعلن كل من روزفلت وتشيرشل أسفه على موافقته على ذلك المشروع ، كما ظهر أن المشروع كان مفاجأة لزملاء كل من الرئيسين من الوزراء والبرلمانيين .

« وقد أحاط الرئيس روزفلت نفسه بكثير من معاونين غير المستوائين يحوطهم الغموض ، وأثبتت الأيام أن أهم القرارات كانت بتأثير هؤلاء . »
« وفي خلال حكم الرئيس روزفلت نجح الصهيونيون في الوصول إلى أرقى المناصب ، وأخطرها في الحكومة الأمريكية ، ومن هناك عمل هؤلاء على تحقيق غرضيهما الأساسيين :

نشر الشيوعية ، وتدعيم دولة إسرائيل .

« ولو أن روزفلت لم يعلن في صراحة كزميله « هوفباير » في جنوب إفريقيا أن إنقاذ العالم سيكون على أيدي الصهيونية ، فإن حكم روزفلت يومى* بأنه اعتنق نفس الفكرة . ففي سنة ١٩٣٢ قال كاتب يهودى هو « المستر والترليمان » (أن من الواضح أن روزفلت ليس زعيم القوات التى تسير خلفه ، وإنما هو أداة فى يدها) .

« وفى سنة ١٩٣٦ قال أحد رجال الدين اليهود (المستر لويس جروس) .

إن إدارة روزفلت اختارت من اليهود لملء المناصب الخطيرة أكثر من أية إدارة أخرى في تاريخ أمريكا .

« وفي سنة ١٩٣٨ كتبت النيويورك تيمس ما يأتي : (بعد مقابلة مع المستر روزفلت صرح السناتور (واجنر) أن الرئيس أبدى استعداداً غير عادي لدعم الوطن اليهودي في فلسطين وإزالة أي قيد على هجرة اليهود إليها) .

« وجميع هذه الأمثلة توحى لنا بالسياسة التي سيطرت على الدول العظمى في تاريخها الحديث ، والتي تهدف إلى نشر الشيوعية الروسية ، ودعم الدولة الإسرائيلية عن طريق سيطرة اليهود على المناصب الرئيسية ، وتسليل الشيوعيين بين الطبقات الكادحة لإثارتها .

« وإن ما بدأه لورد بلفور ، ولويد جورج ، ثم الرئيس ولسن قد أنهى بعد ذلك الرئيس روزفلت ، ثم خليفته ترومان ، إلى نهايته المحتومة ، ففي نهاية الحرب العالمية الأخيرة عين أحد الناصرين للصهيونية وهو المستر (لاجوارديا) رئيساً لمنظمة « الأنرا » أي منظمة الإغاثة والتعمير الدولية ، التي استخدمت أموالها أول ما استخدمت وأكثر ما استخدمت ، لتحقيق مآرب اليهود في فلسطين . . .

« والملاحظ أن كل من عارض فكرة اليهود لتقسيم فلسطين من كبار السياسيين في أمريكا أبعد عن منصبه أو عوقب أشد العقاب ، ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال الجنرال مارشال وكيل وزارة الخارجية ، والمستر جي. م. فريستال وكيل وزارة الدفاع الأمريكية ، فقد عارضوا فكرة تقسيم فلسطين ، وعرض الأخير لحملات اليهود عليه وعلى عائلته ، فاضطر إلى الانتحار بأن ألقى بنفسه من نافذة ... »



الآن وقد اقتبسنا من كلام الكاتب المعروف « دوجلاس ريد » ما اقتبسنا ليكون القارئ على بينة مما فعلته وتبنيته الصهيونية ، لا بد لنا من أن نذكر أن إسرائيل قد أذاعت أخيراً أنها أقامت التلويح في تمثالاً في « تل أبيب » ستزيح عنه الستار عما قريب ، يهرجان كبير ، ويحضر ترومان نفسه ، ليرى يمينيه ما اقترفه في حق البشرية بطرد أمة من ديارها وتشريدتها وتقتيلها ، وإحلال عصابات محلها اغتصبت الديار والأموال ، باسم هيئة الأمم المتحدة ، التي تدعى أنها سياج العدل وحامية الإنسانية .

وإن العالم العربي وهو ضحية العسف والظلم لا يرتبط بمصيرة بمؤتمرات أو قرارات ، وأنه يعيش فوق فوهة بركان قد ينفجر يوماً فيهلك الحرف

والنسل ، ولا نجاة له إلا بالعمل المتواهيل ، في سبيل حفظ كيانه ومستقبله ،
فالأيام عصيبة ، والعدو بالمرصاد . ولها هي النذر تتوالى كل يوم بما تقره
إسرائيل من اعتداءات أقربها اعتداءاتها المتكررة على الحدود الأردنية
ورغبتها في اقتناص مدينة القدس القديمة ، وبعدئذ نضعنا هيئة الأمم
المتحدة — تلك التي ترمي حقوق الأمم وتصون الإنسانية — أمام ماتسميه
بالأمر الواقع ، وهكذا دواليك .

وإن كثيراً من كتاب الغرب قد فطنوا إلى الحقائق ، ونبهوا العالم إلى
أن الحرب العالمية الأولى تمخضت عن وعد بلفور ، وإثراء اليهود ، وبسط
سلطانهم ، وأن الحرب العالمية الثانية تمخضت أيضاً عن قيام دولة إسرائيل ،
واتساع ثراء اليهود ، وازدياد نفوذهم . ولم تأت الحربان العالميتان بأية نتيجة
للعالم سوى الخراب ، وتدهور الاقتصادات المسيحية . وستكون النتيجة
الأكيدة لحرب ثالثة تدفع إليها الصهيونية ، إتمام خراب العالم ، وسيطرة
اليهود ، طبق الوضع الذي حددته قرارات حكماء صهيون .

ونضيف أن المتتبع لجلسات هيئة الأمم المتحدة يرى كما رأى بعض
كتاب الغرب أن حكومة السوفييت لم تتفق مع الغرب إلا في مسألة
واحدة وهي الاعتراف بإسرائيل . ويرى الكاتب أن روسيا كانت ترى

إلى غرض طالما كرّرت ، وهو خروج إنجلترا من الشرق ، فلما حان الوقت الذى حتم على إنجلترا الخروج ، بادرت بالاتفاق مع الأمم المتحدة بالاعتراف بإسرائيل ، وذلك لأنها تعلم أن إسرائيل دولة يهودية صهيونية ، وأنها تشمل يهود العالم ، فإذا غضبت إسرائيل غضب يهود العالم ، وروسيا تتوق لاحتضان إسرائيل كي تحتضن اليهود أجمعين .

ويلاحظ أن إسرائيل على استعداد للتقلب ، والانضمام إلى الشيوعية ، التى خلقها اليهود ، متى رأت مصلحة فى ذلك . وفى إسرائيل حزب شيوعى رسمى ، لا يبعد عند الضرورة أن ينال الأغلبية فى البرلمان ، فتصبح إسرائيل دولة شيوعية فى قلب الأمم العربية ، وقسماً من الاتحاد السوفيتى بعد نقطة ارتكاز شيوعية ضد الغرب لا محالة .

نظرة عامة

نفهم مما تقدم بأسانيد لا تحتل الشك :

أولاً : أن اليهود اعتقدوا على السيد المسيح ، ونعتوه بأقبح الأوصاف ، حتى وصلوا إلى التصرف في حياته والحكم عليه بالإعدام . كذلك عادوا الحواريين ، وأنصارهم من بعده . فعلوا ذلك كله أملاً في أن يخنقوا المسيحية في مهدها ، وأن ينفردوا هم بسلطان عقيدتهم ، كما وضعت كتبهم الدينية .

ولما ظهر الإسلام ناصبوه العداء — كما فعلوا مع المسيحية من قبل — وسعوا في قتل النبي محمد عليه السلام ، وأثاروا الحرب ضده ، وخانوا عهودهم وموائمةهم معه ، وصارحوا قريشاً بأن الوثنية أفضل من دين محمد ، مع أن دين محمد هو دين توحيد ، ودين اليهود هو دين توحيد ، واتفقوا مع عبدة الأوثان لخلق الإسلام .

ثانياً : لما رأى اليهود انتشار الدينين المسيحي والإسلامي بدءوا — وهم قلة — يحكون أساليب الغدر بالمسيحية والإسلام .

وعندما رأوا نهضة أتباع سيدنا عيسى ، واتساع سلطانهم في الغرب ، فكر حكامهم في وضع برامج محكمة ، ترمي إلى إفساد الدول المسيحية ، ونشر الفوضى في ربوعها ، بما ابتدعوه من ماسونية تنفذ قرارات حكماء صهيون ، تحت ستار براق يغري المسيحيين ، وهو « الأخاء الانساني » وتمكنوا بفضل الماسونية من التغلغل في شؤون الدول المسيحية ، وبث السموم بين أفرادها وحكوماتها . ولهذا حرص اليهود على أن تكون نواياهم خفية وحركاتهم سرية ، ظاهرها فكرة سامية هي « الأخاء الانساني » وباطنها تلك الماسونية السرية والقرارات الجهنمية ، وليس من المعقول أن تكون الماسونية سرية إذا كانت تهدف إلى الخير حقا . وهل العمل المساواة والأخاء الانساني يستلزم السرية ؟

إن المرء ليسائل نفسه : لم تكون الماسونية سرية ولم تتخذ رموز خاصة بين الماسون ؟ ولم تكون الشارات والعلامات في محافل الماسون كلها يهودية ؟ ولم جعلت طبقات الماسونية ثلاث ، لا يرقى فيها أحد من غير اليهود إلا إلى الطبقة الثانية « الماسونية الملوكية » بشرط أن يجتاز امتحانا صعبا ، يثبت اخلاصه وصدق خدماته للماسونية ؟ ولم يحرم على الجوييم — أي غير اليهود — تخريب ما بناه الدخول في « الماسونية الكونية » تلك الطبقة العليا التي لا يعرف أحد أعضائها أو رئيسها أو مركزها ، حتى

ولو كان من عامة اليهود أنفسهم، وإنما تلقى أوامرهما من أعلى، كأنها ونحى، لا تجوز مخالفته، وقد يقضى بالهلاك على من يخالف أمراً أو يفشى سراً؟ ويقولون مع ذلك إن الماسونية ليست شيئاً سوى عمل إنسانى، أساسه الأخاء والمساواة!

فهل تحقيق مبادئ الانسانية يوجب تلك السرية البهيمية التى لا تلين، أو أن الغرض منها هو خدمة الصهيونية وجلب السذج من المسيحيين والمسلمين ليكونوا مطايا طوع ارادتها، ينفذون أغراضها فى الهيئات والحكومات، وتسوقهم سوقاً وهم عمى لا يعرفون، وصم لا يسمعون. يود أحدهم أن يصبح استاذاً أعظم ولا يدرك أنه سيصبح خادماً أعظم للصهيونية، يسخر لتنفيذ مآربها فى الأعمال التجارية والصناعية والسياسية، ويستخدم كأداة للتجسس فى الهيئات ودور الحكومات لمعرفة أسرارها، تحت ستار خدمة الانسانية، بينما الصهيونية لا تهدف إلى شىء سوى تحطيم الدول المسيحية والإسلامية، وتفكيك أوامر الأمم غير اليهودية.

وقد ظهرت آثار النشاط الماسونى فى الثورات المسيحية التى أطاحت برءوس الكثرين، ويطمأنينة البلاد والشعوب وفى انقسام الدول المسيحية إلى معسكرات متعادية تتقاتل وتتناحر، وتسخر العلم والمال فى تجويد أساليب الفتك والتدمير، بدليل أن تنصرف إلى السلم وتعاون على خدمة البشرية

ورفع مستوى الحياة . وقد وصل العداء إلى ذروته ، وقامت الحرب العالمية الأولى والثانية ، وها هي ذى الحرب الثالثة على الأبواب .

ثالثاً: كانت آمال الصهيونية الأولى استرجاع أورشليم ، واسترجاع فلسطين كلها . وهى مكان التقديس عند أنصار عيسى وأنصار محمد ، فى فلسطين كنيسة بيت لحم ، حيث ولد السيد المسيح ، وفى أورشليم كنيسة القيامة ، محل قبر السيد المسيح . وفيها المسجد الأقصى ، وفيها محل البراق الشريف . وفيها أضرحة الأنبياء . اسكن اليهود يسخرون من هذه الذكريات وهذه المقدسات ، ويريدون أن يضعوا أيديهم عليها .

ثم اتسعت آمالهم ، فأرادوا أن يكون ملكهم من الفرات إلى النيل كما جاء فى توراتهم وكتبهم المقدسة ، وهم يذكرونه فى أناشيدهم ، وسطروه على باب برلمانهم . ثم تولدت عندهم الرغبة فى السيطرة على العالم كله ، بعد تحطيم دول الكافرين — وهم المسيحيون والمسلمون — وقرارات حكائهم تثبت ما نقول ، بينما المسيحيون والمسلمون فى غفلة عما يعملون .

رابعاً : من أقوى المسائل التى تساعد الصهيونية على تحقيق أغراضها تتغلغل اليهود فى الهيئات وإدارات الحكم ، وقد وصلوا إلى أن يكون بعضهم من الوزراء فى الدول المسيحية والإسلامية ومن أعضاء المجالس

النيابية. ومن كبار الساسة والعلماء . وتسلاوا كذلك إلى معاهد التربية والتعليم ييشون تعاليمهم ، وإلى معاهد الفنون الجميلة . وسيطروا على البيوت المالية والبورصات وعلى الصحف والمجلات ودور النشر وشركات الأنباء والسينما ، حتى أصبحوا يوجهون التفكير المسيحي والإسلامي ، ويخذعون هؤلاء وهؤلاء باسم حرية القول والنشر ، ويدفعونهم إلى هجر عقائدهم وتقاليدهم وآدابهم الموروثة ، مما أدى بهتلر إلى أن يستعصرخ العالم ضدهم ، لا لأنه من ذوى التقى والورع ، ولكنه أراد انقاذ أمته والعالم من هذا الشر الويل الذى استشرى فى الأمم المسيحية ، ومن هذا السم الذى سرى فى أجسام غير اليهود .

ومن المعلوم بداهة أن الشعب الألماني من أرقى شعوب العالم ، وأكثرها علماً وفناً ووطنية ، وله من المناعة ما كان يصح أن يحميه من أعمال الصهيونية . لكن هتلر رغم هذا كله قد لمس فى أمته ما أضعفها وكاد يقضى عليها ، فكيف بالأمم الأخرى التى ليست لها هذه المناعة ؟ .

خامساً : يعتبر اليهود أنفسهم شعب الله المختار ، ويرون أنهم أرقى الأمم ديناً وعنصراً ، وأن الأمم الأخرى لم تخلق إلا كالأنعام لخدمة السادة المختارين ، ونجم عن هذا الاعتقاد أن أصبح اليهود جميعاً كتلة

واحدة في مشارق الأرض ومغاربها ، يتعاونون فيما بينهم ويحتكرون
التعامل في المال والتجارة ، ووكالة المنشآت التجارية وغيرها ، ويأتمن اليهودي
الانجليزي مثلاً اليهودي اليميني ويساعده ، ولو لم يعرفه ولم يره ، ويراسله كلخ
شقيق وإن كان أحدهما لا يعرف سوى الانجليزية والآخر سوى العربية .
ويعتبر اليهودي الانجليزي نفسه مواطناً لليهودي اليميني ، واليهودي الأمريكي
مواطناً للعراقي واليوناني فوطنهم جميعاً واحد ، وهو الدين والعنصرية ،
ولا عبرة بالجنسية الرسمية الانجليزية أو الينية أو الأمريكية وغيرها .

سادساً : اتسع نشاط اليهود ، وارتفع شأنهم المالى والاقتصادى والسياسى ،
وقويت شوكتهم فى السياسة والتجسس . وبعد أن هاجر كثير منهم إلى
الولايات بأمريكا وأصبحوا هناك ملايين كثيرة ، انتقل مركز الثقل
اليهودى إلى أمريكا ، وأصبحت نيويورك عاصمة اليهود الفعلية لا « تل أبيب » .
وكثر الأثرياء منهم والسياسيون ، إلى درجة أن أصبحوا هم المسيطرين هناك ،
وأصبح كل حزب سياسى يتعلقهم ويطلب عونهم المالى والتجارى
والاقتصادى والسياسى . فبيدهم الآن كما يدعون أمر الانتخابات العامة
والمشاريع الهامة ، يتزلف إليهم من يتطلع إلى رئاسة الجمهورية ، سواء أكان من
الديموقراطيين أم من الجمهوريين . ويتعلقهم من يبغي أن يكون حاكم نيويورك

ولهم نفوذهم في المحكمة العليا ، وفي البرلمان (الكونجرس) ، ولهم تأثيرهم في الانتخابات الإقليمية والمشاريع المالية .

فلاغربة بعد هذا إذا تملقهم ترومان وغيره . ولاغربة إذا اندفع في الملق ، والخطأ بعض الساسة الأمريكيين ، وأصبحوا أشد حماسة لليهود من تشرشل نفسه . بل إن رجال الدين المسيحي هناك تأثروا بهم ، إلى حد أن عقد خمسة آلاف قسيس بروتستانتي أمريكي مؤتمراً في فبراير سنة ١٩٤٥ وقعوا فيه مذكرة أرسلوها إلى الرئيس ترومان ، يظهرون فيها شديد عطفهم على القضية الصهيونية ، ويطالبون بفتح أبواب الهجرة إلى فلسطين .

وقد بادرترومان — الذي أحاط به نفر من اليهود ذوى النفوذ، أخص بالذكر منهم « دافيد نايلز » وكان مستشار البيت الأبيض — بادر بإعلان اعترافه بدولة إسرائيل قبل أى إنسان آخر وبعد دقائق من قيامها في صبيحة يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، ثم أعقبه ستالين . وما ذلك إلا لأن الثورة البلشفية كانت عملاً يهودياً كما قلنا .

ولا بد ههنا المرء بعد الذى ذكرناه أن يرى الخصمين اللدودين — الروس والأمريكان — لم يتقفا على أمر إلا على الاعتراف بدولة إسرائيل ، أى الاعتراف بطرد شعب يقيم في بلاده من آلاف السنين — قبل

الإسلام والمسيحية واليهودية — ليحل محله خليط من أمم مختلطة، تسكون دولة منه .

وما يزال ترومان — بعد أن ترك رئاسة الجمهورية الأمريكية — يوالى تصريحاته بوجوب صيانة هذه الدولة المصطنعة . وسيحصد المسيحيون في المستقبل ما زرعه ولالة أمورهم ، ظانين أن ما صنعوه كان ضد العرب وحدهم ، مسيحيين كانوا أو مسلمين .

ثامناً : أن اليهود وقد اطمأنوا إلى تكوين حكومة لهم طالبوا الألمان والنمساويين بتعويضات باهظة ، فبادر الحلفاء المسيحيون المحتلون لهذه البلاد المهزومة بتأييد طلب اليهود ، وأكروهوا الألمان والنمساويين على دفع تعويضات ثقيلة ، وذلك رغم أن أصبح لليهود دولة ، وبعد أن رجع كثير منهم إلى ألمانيا والنمسا واحتلوا هناك مراكز خطيرة مالية واقتصادية وسياسية . وهؤلاء الحلفاء المسيحيون هم الذين يأبون على عرب فلسطين أن يرجعوا إلى وطنهم ، أو تعويضهم عما فقدوه من أموالهم وأراضيهم وأرواح ذويهم ، وتركهم مشردين خارج بلادهم ، يقاسون الجوع والمرض . وفوق ذلك فإن أمريكا ما زالت هي وحليقاتها تمد إسرائيل بالمال الكثير ، والسلاح والذخيرة ، وتحرم العرب من هذا كله ! :

٢٠ - فمن غريب ما حدث أن تقرر هيئة الأمم المتحدة مراراً وودقة المهرب إلى أوطانهم وتعويضهم بتاريخ ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٨ و ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ و ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٩ و ١٤ ديسمبر سنة ١٩٥٠ و ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ، ثم تبقى هذه القرارات خيراً على ورق ، والأقوياء يعلنون أنهم أصدروها لتكون كذلك ولن ينفذوها ، ككل وعود الشرف التي يعطونها الاستعمار .

تاسعاً : أحيت دولة إسرائيل اللغة العبرية المندثرة ، وجعلتها لغة البلاد الرسمية . ولأنها تعتبر جميع يهود الأرض مواطنين لدولة إسرائيل فقد افتتحت مدارس للغة العبرية في الولايات المتحدة الأمريكية لليهود الأمريكيين .

ولقد سمعت بنفسى من إذاعة إسرائيل في آخر نوفمبر سنة ١٩٥٣ أن المدارس العبرية التي افتتحتها اليهود في الولايات المتحدة بلغت إلى ذلك التاريخ ١٦٨ مدرسة . وما زالت الصهيونية دائبة على نشر اللغة العبرية في قلب أمريكا . ولا ندري لأى سبب يسعى اليهود في نشر هذه اللغة المندثرة إلا إذا كانوا يريدون بلبلة الأفكار ، ومنع يهود أمريكا من التعلم في غير تلك المدارس ، والعمل في تلك البلاد بلغة لا يفهمها غيرهم . مع العلم (م — ١٣ فلسطين)

بأن اليهود في فلسطين لا يسمحون بإنشاء أية مدرسة أجنبية ولو كانت علمانية — غير تبشيرية — .

وحدث أن وزير المعارف هناك صرح بفتح مدرسة أجنبية علمانية فقامت ضجة كبيرة كادت تؤدي بمركز الوزير، لولا أن أعلنت الوزارة في ذلك الوقت سحب التصريح ، ووقفت تأسيس المدرسة .

هذا ما تصنعه إسرائيل بجوارنا ، وهو يدل على أنها تعمل بروح وطنية وعنصرية ودينية ، ونحن نفتح بلادنا لسموم التبشير تضعفنا في ديننا ودينانا وتقاليدينا .

إن الأمة التي تريد صيانة نفسها يجب عليها أن توحد برامجها ، وتعلم أبناءها تعليماً وطنياً عاماً سليماً ، وتمنعهم من الدخول في المدارس الأجنبية ، كي لا تلوث عقولهم بجراثيم أجنبية تضعف في النشء روح الوطنية الصحيحة .

ما هي إسرائيل ؟

قامت دولة إسرائيل نتيجة مؤامرة بين الصهيونية وساسة انجلترا وأمريكا ، فهدت انجلترا الخطوات الأولى ، بإصدارها وعد بلفور ، وبتعيين سير صمويل اليهودي وغيره من الانجليز في فلسطين ، وبتسهيل هجرة اليهود إليها ، حتى إذا تراخت بعض الشيء ، قام ترومان رئيس الولايات المتحدة وأنهم ما أرادت الصهيونية ، فأمد اليهود بالأسلحة والذخائر ، وحرّم العرب من كل عون ، ورجع عن تقسيم فلسطين رغبة في إعطائها كلها لليهود . ثم إن انجلترا وأمريكا تركتا اليهود يفعلون ما يشاءون ، من إخراج العرب من ديارهم ، وتجريدهم من أموالهم ، وتقييلهم وتشريدهم ، وسكتتا على مخالفتهم لقرارات الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن ، وقرارات مايسمونه « لجنة الهدنة » وعلى اعتداءاتهم المتكررة على لبنان وسوريا والأردن ومصر . وكل ذلك أدلة قاطعة على أن مؤامرة واسعة النطاق بين اليهود وبعض ولاية الأمور في انجلترا وأمريكا ما زالت قائمة لإخضاع العرب وإذلالهم ونهب أموالهم وطردهم وتركهم مشردين في بقاع الأرض ، يقاسون الجوع

والعري والمرضى ، مشتتين حول فلسطين ينظرون إليها ولا يجردون على الرجوع إلى مساكنهم ، ظالمين أن وراء اليهود أسلحة انجارتا وأمريكا وميثانها المالية ، فوق أموال الصهيونية العالمية .

قدولة إسرائيل إذن وليدة الظلم والعدوان ، وهي ليست كسائر الدول ، فهي دولة دينية عنصرية ينبثق اسمها بحقيقتها ، فهي تتخذ اسم إسرائيل (أى النبي يعقوب) ، وهي لبنية كما يدعون ، ولا يوجد في العالم الآن دولة تحمل اسم نبي من الأنبياء . فهل لمسيحي الأرض ومسلميها أن يفقهوا ذلك ؟ وأن يتعاونوا لصيانة فلسطين المقدسة عندهم من عدوان ديني عنصري كهذا العدوان ؟ وهل للمسيحيين والمسلمين أن يفقهوا أن عقيدة اليهود تحضهم على الغزو والفتح ، إلى أن يتم لهم ما أرادته التوراة ، من امتلاك البقاع الواقعة بين الفرات والنيل .

إن إسرائيل تريد استدامة ضعف الدول العربية ، ليتيسر لها التوسع شيئاً فشيئاً ، ومن سياستها أن تفرق بين جاراتها حتى تسقطها واحدة بعد أخرى . وهي تهتم بتقوية جيشها البري والبحري والجوى ، وتقوية لاتتناسب مع ميزانيتها ، استعداداً ليوم تضرب فيه الضربة أو الضربات القاضية ، ولديها الآن من القوة ما يخيف . لجيشها من رجال ونساء قد

يصل إلى مائتي ألف جندي مزودين بأحدث الأسلحة ، وفي فلسطين مستعمرات هي قلاع من الأسمنت المسلح فيها من الأسلحة ما يكفي لصعد العدوان ، إلى أن يتم جمع الجيش المنظم من الجيش الاحتياطي والمتطوعين من يهود الأرض .

وقد جهزت كل قادر على حمل السلاح بأسلحته حتى إذا نفخ في الصور تجمع جيشها الاحتياطي في أقرب وقت ، وقد اتخذت في ذلك خطة سويسرا في أن يكون لكل مواطن سلاحه وملبسه العسكري في مسكنه وفي متناول يده .

ومن المعلوم أن تقارير بعض اللجان التي أرسلتها إنجلترا للتحقيق في أمر فلسطين ، أثبتت أن أرض فلسطين لا يمكن أن تستوعب من اليهود أكثر ممن دخلوا إليها مع العرب أصحابها ، وأن زيادة الهجرة موجبة لمعجز البلاد عن تغذية سكانها ، ونصحت بوقف الهجرة تماما . ورغم أن فلسطين ضعيفة المساحة فإن حكومة إسرائيل ما زالت تجلب إليها المهاجرين ، وتسكن من عددهم ، حتى إذا ضاقت الرقعة يمين فيها احتججت بعدم قدرتها على تغذيتهم ، واغتصبت من جاراتها أرضها توسع بها بحال حياتها . ثم تعود إلى جلب المهاجرين ، فتعود إلى الاغتياب والفتح ، وهي مخطئة

إلى معونة إنجلترا وأمريكا ويهود الأرض جميعا وصمت هيئة الأمم المتحدة ورغبتها عن مناصرة العرب .

وهاهى ذى إسرائيل قد بدأت الآن فى تنفيذ برنامجها هذا آمنة مطمئنة ، معتمدة على المساعدات الرسمية وغير الرسمية التى تغدق عليها . بينما العرب لا مغيث لهم ولا مجير ، تضعهم قوى الاستعمار دائما أمام الأمر الواقع ، وتسكتفى بالعطف عليهم عطفًا كلاميا هو التخدير بعينه . فليفهم العرب ذلك وليكونوا منه على بينة .

أسباب قوة إسرائيل وضعف العرب :

العرب كثير ولسكنهم متخاذلون متحاسبون . أما اليهود وعددهم فى العالم كله أقل من عدد المصريين وحدهم ، فهم على قلوبهم وحدة لا تفقههم عراها ، وكل يهودى فى أى بلد من بلاد العالم يعتقد أن وطنه هو الصهيونية ، ومركزها فى فلسطين . ومهما تعدد الجنسيات الرسمية بين اليهود ويظن الناس أن هذا انجائزى وذلك أمريكى والآخر فرنسى وأوروسى فإنهم جميعا مواطنون صهيونيون .

وما تلك الجنسيات الرسمية إلا إجراءات شكلية يقوارى خلفها

اليهودى وهو فى حقيقته صهيونى لحاودما . فحكومة إسرائيل إن هى إلا يهود الأرض جميعا ، يمدونها بما يستطيعون ، ويعادون أية أمة أو حكومة تفسكر فى معاداة حكومتهم ، هم عيون لإسرائيل فى البلاد التى ينتمون إليها ، وهم عند الضرورة يخربون الأوطان التى تؤويهم ولو كانت إنجلترا وأمريكا — فى سبيل وطنهم الدينى .

هذا ما يجب أن يفهمه العرب ، ويفهمه المسلمون والمسيحيون جميعا . وتسعى الصهيونية فى إضعاف العرب بوسائل أصبحت مكشوفة منها : أولا : الجاسوسية . فلاسرائيل مخبرات وعيون فى جميع البلاد العربية ، تعرف بها أدق الأعمال الإدارية والسياسية ، وما خفى من استعدادات عسكرية . وهى تستعين على ذلك فوق جواسيسها ، بمؤسساتها وهيئاتها كالماسونية وأندية الروتارى وغيرها .

ثانياً : نشر المبادئ الهدامة . فالصهيونية هى التى قلبت نظام الحكم فى روسيا بثورة سنة ١٩١٧ الجاحمة ونشرت الشيوعية ، وأن كبار مؤسسى الشيوعية من الصهيونيين ، فلا يبعد بعد ذلك أن تنشر هذه المبادئ فى بلد هادى كعصر أو البلاد العربية . والعجب أن جماعات الشيوعية فى مصر يرأسها رجال من كبار المالىين الصهيونيين ، وما ذلك إلا تنفيذاً لقرارات

بحكائهم في ضرورة إفساد العالم وتحطيم أنظمتهم ، وهم يتخذون لكل أمة أسلوباً يسرون عليه ويبشرون به ، فهم بين العمال والفقراء يحبذون الشيوعية لدفعهم إلى القوضى والاضطراب ، وبين الأغنياء ورجال الأعمال يسعون إلى الرأسمالية ويحبذونها ، وفي الوقت ذاته يسعون في إيجاد الفتر بين الطبقات وإثارة الحروب بين الشعوب ، وهم يهتمون في السلم والحرب ولو كانت حرباً باردة . ولم يكشف أسرارهم ويعرف حقيقةتهم سوى هتلر وأنصاره . ولم يكن هتلر رجل دين وتقوى كما قلنا إنما كان من عامة الناس فهم الصهيونية وأراد أن ينتشل بلده من مساوئها .

ومن واجب البلاد العربية وخاصة مصر أن تشدد الرقابة على أنصار الشيوعية وجلبهم من الصهيونيين أو أتباعهم ، وإلا عرضت نفسها للضياع . ومن واجبها أن تنشط مخبراتها الخارجية والداخلية لتقف على حقيقة أعمال إسرائيل في بلادها ، وكيف تهرب مصنوعاتهما ، وتجلب من بلاد العرب المواد اللازمة لها لتقف على قوة جيشهما وحالتها الاقتصادية .

ثالثاً : تجارة المخدرات : فإسرائيل تعلم أن للمخدرات أقوى الأثر في إضعاف الشعوب ، مادياً وأدبياً جسدياً وعقلياً . ولهذا تسعى الصهيونية في إدخال المخدرات كالخيش والأفيون إلى مصر وغيرها . ومن نتائج

الطالع أن فئة من المهر بين العرب تقترف هذه الآثام في حق بلادهم وفي حق مصر، فألى متى يستمر هؤلاء في قتل ذويهم وأوطانهم بتلك المخدرات، وتجارتها ليست سوى الاتجار، فمن يتاجر فيها إنما يقتل أمته ولا ينعم من ذلك سوى الصهيونيين .

كيف نتقي خطر الصهيونية

ظهر مما سبق ما للصهيونية من تدبيرات ترمي إلى تحقيق أغراضها السياسية والاستعمارية ، عملاً بما نوحى به كتبهم المقدسة من تورا وتلمود وغيرها ، وبما نوصى به قرارات حكماهم التي ذكرنا ملخصاتها ، وبما استقر في أذهان اليهود من اعتقاد راسخ أنهم الشعب الذي اختاره الله لحكم العباد وأن دينهم أرقى الأديان وعنصرهم أرقى العناصر ، وأن باقي البشر ليسوا سوى مخلوقات منحطة ، خلقها الله لخدمة اليهود ، ولتكون تحت إمرتهم وسلطانهم .

ولهذا يجب علينا أن نسعى في اتخاذ الوسائل التي تكفل حفظ كياناتنا وتدفع الشر عنا ، وإلا سقطنا في شرك الصهيونية لا محالة .
ونخير الوسائل ما يأتي :

أولاً : يجب أن يعرف العرب مسيحيين كانوا أو مسلمين أن إسرائيل ليست دولة كسائر الدول ، وإنما هي مجموعة دينية عنصرية متعصبة ، اصطفتها لويد جورج ، وتشيرشل ، وترومان ، ومن سار سيرتهم . وما دامت

القوى البريطانية والأمريكية وغيرها تؤيد إسرائيل وتعينها ، فليس من الميسور أن نقضى عليها عسكرياً . لكن هناك قوة ليست بالحديد والنار نستطيع بها أن ننتصر ، تلك هى مقاطعة إسرائيل الباغية اقتصادياً ، وهى أقوى سلاح نثيره فى وجهها ، ولا يتطلب سوى التضامن النزيه ، وليس لفرد أو دولة أن تعارضنا فيه إذا كنا من ذوى البصيرة والخلق القويم .

فإسرائيل دولة تقوم على أساسين : الهبات التى ترسل إليها من أمريكا وإنجلترا وغيرها ، وتصريف إنتاجها القومى .

أما الهبات والعطايا فتلك أمور مؤقتة ، لا تصان بها أو تعيش عليها دولة . وأما تصريف الإنتاج القومى فهو الذى ينهض بالدول ويضمن حياتها . وإسرائيل لا يمكنها أن تعيش بغير أسواق الأمم المحيطة بها المتبخلة فى الصناعة . وهى تعتبر الشرق الأوسط العميل الوحيد الذى تبنى عليه آمالها . كما ترى أن أوروبا وأمريكا بلاد متحضرة ليست فى حاجة إلى صناعة إسرائيل أو تجارتها .

تلك حقيقة يجب أن نفهمها جميعاً ، فإذا نحن قاطعنا إسرائيل ، وأحكمتنا المقاطعة بنزاهة وقوة إيمان ، قضينا لا محالة على هذه الدولة البخيلة .

أما إذا تهاونا وأسففنا في أخلاقنا وتنازعنا وتحاسدنا ، وضاعت الثقة من بين صفوفنا — سقطنا أمة بعد أخرى كما تسقط أوراق الخربف .

وليعلم كل عربي أن إسرائيل جادة مجتهدة ، وأن اليهود متعصبون لدينهم وعنصرهم إلى أقصى الحدود . ولهم ما يساعدهم من النشاط والنضال . وأنهم بفضل المساعدات الأجنبية سيستثمرون كل شبر مما يحتلون ، وسيمدون السكك الحديدية ، ويهيئون الطرقات ، ويقيمون المصانع ، ويستثمرون صحراء النقب بما يأخذونه من مياه الأردن . وسيوسعون مرفأ « إيلات » على خليج العقبة ، تمخر منه بواخرهم إلى الشرق كما تمخر الآن بواخرهم من حيفا وغيرها إلى الغرب . وبذلك يكون لهم أسطول تجارى فى البحر الأبيض المتوسط إلى أوروبا وأمريكا ، وآخر من خليج العقبة إلى أفريقيا وآسيا ، دون احتياج إلى المرور فى قناة السويس . ولسكن صادراتها لن تجد سوقا رائجة إلا فى بلاد الشرق الأوسط .

وأملنا أن ينهض السودان ، ويرفض أية صادرات من إسرائيل إليه ، كما نرجو أن تغيق الأمم العربية من غفوتها ، وأن تتعاون على الاستغناء عما تصدره هذه الدولة . فإن صادراتها إن نجحت كانت أغلالا فى أعناق الأمم العربية تتخنى بنا إلى شوء المصير .

ثانياً : ثبت أن إسرائيل تقوم على أساس الدين والعنصر . وما دام الأمر كذلك فعلى المسيحيين والمسلمين أن يصونوا أنفسهم من التعاليم الضارة التي ييشها الصهيونيون . . . وعلى أهل إيران وأفغان والهند والباكستان وأندونيسيا والملايو والصين ومسيحي الحبشة ومسلميها وغيرهم أن يصونوا أنفسهم من وباء التعاليم الصهيونية ، وأن يتضامنوا مع العرب في مقاطعتها اقتصادياً كي لا يجهلوا للصهيونية ، سبيلاً إلى تسرب سمومها إليهم ، فهي لا تكن لتلك الأمم جميعاً سوى السكراوية والبغضاء ، ولا تبغى سوى السيطرة عليهم واستغلالهم .

ثالثاً : إنى أدعو الأمم العربية عامة ومصر خاصة إلى عدم إباحة قيام الماسونية في بلادها ، وما يتبعها من أندية الروتاري المختلفة ومؤتمرات السلام المسمومة . فإن هذه الهيئات جميعاً ليست سوى مؤسسات صهيونية ابتكرها اليهود لتخدير المسيحيين أولاً والمسلمين ثانياً تحت ستار الأخاء الإنساني ، حتى يصلوا بهذه المسميات البراقة إلى تغلغل الصهيونيين فيما بينهم ، والوصول إلى قضاء مآربهم وإفساد المجتمعات غير اليهودية ، والقضاء على حريات العالم تنفيذاً لقرارات حكائهم وأوامر توراتهم وتلمودهم .

وقد أحسن كثير من الغربيين بما تهدف إليه الصهيونية ، وما
من ثورات واتقلابات وفساد في علاقات الأمم . فنشروا مؤلفات عد
وكتبوا في الصحف كثيرا عن الخطر الصهيوني ، وحذروا أممهم من
أعمال الصهيونية وتدابيراتها الخفية بعد أن ظهر أن الداء قد است
في هذه الأمم ، وأن قوة الصهيونية قد نمت جذورها في الدوائر الحك
وغير الحكومية ، فسيطر الصهيونيون على دور الصناعة والتجارة و
المال ودور العلم والفن ، وتغلغلوا في المجالس النيابية وفي الوزارات ، وأ
كثير منهم من وزراء إنجلترا ونوابها ونبلاتها ومستشاري هيئاتها و
وفنائها ورجال النشر والاذاعة فيها واحتكروا المرافق الحيوية في
البلاد ، كما احتكروها في أمريكا وبخاصة في نيويورك ، وتغلغلوا
الكونجرس والقضاء العالي وهيئة الأمم المتحدة وسكرتيريتها ، وك
في مجلس الأمن . وهم رجال المال والتجارة والصناعة هناك . ويش
أن لهم القسح المعلى في انتخابات رئاسة الجمهورية وحاكم نيو
كما أسلفنا — فالداء قد أصبح عضالا . ويجب على الأمم المسيحية أن
من غفوتها وأن تعالج نفسها مما وقعت فيه واستسلمت إليه قبل أن يست
الداء ويعز الدواء .

رابعاً : ثبت مما ذكرناه أن الصلح مع إسرائيل جريمة لا تغتفر ، وأن
مفعلاه أن تتم تبادل التجارة والتعامل ، فتتاح الفرصة لإسرائيل أن تغزو
أسواقنا وتسلب أموالنا وتخضعنا لإرادتها ، وتنفذ فينا ما صممت عليه
من بسط سلطانها على الشرق من الفرات إلى النيل وما وراء ذلك ، ولا
توجد في الأرض قوة تلزمنا هذا الصلح ، فإننا لا نحارب ولا يصح أن نفكر
في محاربتهم ، لأن حربنا معهم هي حرب ضد المستعمرين الأقوياء الذين يؤازرون
الصهيونية ويخضعون لها من حيث لا يعلمون ، ولكن في مكنتنا ألا نصالح
بوفى مكنتنا ألا نعامل الصهيونية ، وهذا أقل ما يجب عمله على الضعيف
المسلوب الحق ، القوي الإيمان ، وذخيرته تماسكه وقوة خلقه ونهضته .
خامساً : أن إسرائيل تبذل جهوداً جبارة لتُحيي « صحراء النقب »
ولا يعوقها عنها إلى الآن طائق ، ولنا بجوارها شبه جزيرة سيناء ليس فيها
من عمل ، مع أنها تحوى من الكنوز ما لا يخفى على أحد ، ثم هي الحصن
الأول الذى تدفع به مصر عن نفسها غائلة الصهيونية ، فمن الواجب أن
نصرف قوانا وجهودنا لتعمير تلك البقاع المترامية الأطراف ، نحبي مواتها
بمشاريع عمرانية زراعية وصناعية ، ونجلب إليها الماء من النيل أو من
الآبار ومن الأمطار والسيول ، وندفع الكثيرين من سكان المناطق

المكتظة كالمهوفية والقلبوية إلى استعمار تلك الجهات بعد أن نهى لهم وسائل العيش فيها وطريقة استثمار أراضيها ، أو تسن تشريعاً تستعمر به تلك المنطقة كتشريعات المعمرين التي وضعتها إنجلترا وفرنسا لاستعمار استراليا ونيوزيلنده وجويانا وغيرها .

سادسا : قلنا إن الصهيونية خطر على العالم ، وأشدّه واقع على البلاد العربية ، وإن أساسها ديني عنصري ؛ فهل للحكومات العربية دفاعاً عن كيانهما أن تفكر في تشريعات ضد أي عربي أو غير عربي يقيم في البلاد العربية إذا ثبت اشتراكه في أعمال تخدم الصهيونية ، سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أم غير مباشرة كالتهجس وتهريب البضائع في التصدير أو الاستيراد ، أو دفع هبات لإسرائيل ، أو شراء أسلحة أو تهريبها لها ، وغير ذلك من الأعمال التي تخل بأمن الوطن العربي وتهدد كيانه .

سابعا : الآن وقد تأكدنا أن إسرائيل تعتبر نفسها وطن اليهود جميعا وطنهم الديني والعنصري ، وأن باقي اليهود المنتشرين في الأرض إنما يعتبرون أنفسهم مواطنين إسرائيليين ، ولو كانت لهم جنسيات أجنبية رسمية هي في الحقيقة صورية ، الغرض منها تسهيل معاشهم واشتراكهم في إدارة البلاد التي تؤويهم ، وأن إسرائيل طردت الفلسطينيين من

أوطانهم ، ولم تقبل عودتهم وتعودهم رغم قرارات هيئة الأمم ، فلم
لاتقاطع الأمم العربية جميع الشركات الصهيونية والشركات التي تتعامل
مع إسرائيل ووكلاء الشركات متى كانوا يهوداً ، والممارسة ورجال الأعمال
اليهود من أية جنسية كانوا ، وهذا أقل ما يجب عمله حيال الاعتداء
الصارخ للمثل في إسرائيل .

ثامناً — اغتصب الصهليونون فلسطين وأقاموا بها دولة ثم أحيوا
لغتهم العبرية بعد موتها وجعلوها لغة البلاد الرسمية . وقام يهود الأرض
يحيون هذه اللغة بما وسعهم من جهد ، وأعلنت إسرائيل في إذاعتها في آخر
شهر نوفمبر سنة ١٩٥٣ أن عدد المدارس العبرية في الولايات المتحدة بأمر يكا
بلغ ١٦٨ مدرسة كما ذكرنا . فإذا كان اليهود في بقاع الأرض قد أحيوا
لغة ميتة للتفاهم بها فيما بينهم ، أفلا يكون من واجب المسلمين جميعاً
أن يجعلوا اللغة العربية — وهي لغة حية — لغة مشتركة فيما بينهم في التجارة
والصناعة . وأن يجعلوها لغة التخاطب الرسمية بين الحكومات الإسلامية
والعربية . وأن تسعى بلاد الأفغان وإيران وباكستان واندونيسيا وغيرها
في نشر هذه اللغة بين أبنائها فتقوى بذلك صلات الود والتماسك ، ويزداد
التعاون الاقتصادي والسياسي ، وفي هذا من القوائد ما لا يخفى على أحد .

(م — ١٤ فلسطين)

وقد فطنت المؤتمرات الإسلامية التي انعقدت في كراتشي إلى ذلك ، وقررت
وجوب جعل اللغة العربية لغة مشتركة بين المسلمين .

و مما يدمى القلوب أن تهتم إسرائيل بتعميم اللغة العبرية الدراسة ،
ونحن العرب لا نهتم بنشر لغتنا العربية الحية ، رغم وجود الرغبة الصادقة
لدى الشعوب الإسلامية في تعلمها لأنها لغة دينهم .

لقد لمست ذلك بنفسى عندما كنت سفيراً لبلادى فى الباكستان ،
فأرسلت إلى حكومتى تقارير أطلب فيها إنشاء ثلاث مدارس ابتدائية
مصرية عربية فى « كراتشى » و « ولاهور » و « دكا » . على أن تنشأ
فى باء مدرسة ثانوية هناك . واتفقت وقتئذ مع المرحوم « لياقت على خان »
رئيس الوزارة فى ذلك العهد ومع غيره من ذوى النفوذ على ضرورة تنفيذ
هذا المشروع الذى يتلهف الباكستانيون على ظهوره ، ولم أجد من حكومتى
فى تلك الأوقات سوى التراخى والأعراض ، مع أنها مع الأسف قامت
بافتتاح ما تسميه « معاهد للغة العربية » فى « أثينا » و « باريس »
و « مدريد » أنفقت عليها مبالغ كبيرة بلا جدوى .

تاسماً — وأهم مما سبق كله ، أن مصر يجب أن تنشئ جيشاً يليق
بمركزها وعدد سكانها وإمكاناتها ، وتنفق عليه بسخاء ، فإن حياتها وشرفها

مرتبطان بقوة جيشها ، وهذا يتطلب قدرة مالية لا تتأتى إلا بزيادة الإنتاج الزراعى والصناعى والتجارى ، وقدرة فنية لا تتحقق إلا بنشر العلوم والفنون فى جميع فروعها المتعددة ، وبقظة كاملة لا يضعفها الخمول والتواكل ولا يقتلها التخاذل والتحاسد فإن لم نفعل هذا كله فمسيرنا إلى الهلاك لا محالة .

عائراً — ثبت أن الولايات المتحدة الأمريكية هى الآن المصدر الرئيسى لقوة الصهيونية ، تمدّها بالمال والعتاد قبل غيرها وأكثر من غيرها . وأن مستر ترومان رئيس الولايات المتحدة السابق — رغم أنه مسيحى — كان أكبر رجل خدم الصهيونية ويخدمها ، وأن مسز روزفلت أرملة الرئيس الأسبق روزفلت — وهى مسيحية أيضاً — هى أكبر سيّدة تخدم الصهيونية فى أمريكا ، فهى تقوم بجمع المال والدعاية القوية لإسرائيل . وأن إنجلترا وغيرها من الدول المسيحية تساعد إسرائيل ، وأن يهود الأرض يخدمونها طوعاً .

ومعنى هذا أن قوة إسرائيل هى من خارجها . فلماذا إذن لا يتعاون المسلمون مع البلاد العربية على صد أذى إسرائيل ؟ إننى على يقين من أن الأمم الإسلامية لو أعلنت تضامنها مع الدول العربية وأيقنت إسرائيل

أن الدول الإسلامية لن تقف مكتوفة الأيدي أمام العدوان الصهيوني ،
فإن اعتداءاتها على جاراتها المتكررة تقف لامحالة ، وإني أوجه كلتي هذه
بنوع خاص إلى باكستان واندونيسيا وإيران وأفغان .

حادى عشر : تود أمريكا وإنجلترا أن يكون الشرق الأوسط ،
أوالحكومات العربية الداخلة فى نطاق جامعة الدول العربية ، كتلة
واحدة للدفاع عن السلام ، أو الدفاع عن العالم الحر — كما يقولون —
وبعبارة أخرى تريد أمريكا وإنجلترا شيئاً اسمه الدفاع المشترك ، أو ما يقرب
منه ، ومعناه أن تهب الأمم العربية وقت الخطر كدولة متراصة قوية لصد
أى اعتداء ، لكن أمريكا وإنجلترا فوق رضائهما باحتلال كثير من
البلاد العربية ظلماً وعدواناً ، قد خلقت دولة إسرائيل ومنعت الاتصال
بين الأمم العربية وشطرتها شطرين ، فلا يمكن لمصر مثلاً أن تتصل
بالأردن أو العراق أو سوريا أو لبنان إلا إذا اخترقت الأراضى التى
أعطيت لإسرائيل ، ولن يكون هذا إلا إذا سمحت إسرائيل . ومعناه
ضرورة الاتفاق مع إسرائيل وجعل السكل كتلة واحدة . وبعبارة أخرى
معناه اندماج إسرائيل فى دول الشرق العربى ، وجعل هذه الدولة المدخيلة
حليفة صديقة ، والاعتراف بها والتعاون معها ، الأمر الذى لا يطيقه أى عربى

فيه مسحة من عقل ، لأن معناه انحلال هذه الدول العربية وتعرض
استقلالها للضياع وتغلغل الصهيونية فيها ، وتمسكها من تنفيذ مشاريعها
البعيدة .

والويل للدول العربية إذا هي دخلت في دفاع مشترك ، وانهزت
إسرائيل فرصة اشتباكها في حرب وطعناتها في ظهرها أملاً في الوصول
إلى اغتصاب شيء من أراضيها ، ولو بالاتفاق مع العدو المعتدى على الأمم
العربية والشرق الأوسط ، كما يجب علينا إزالة هذا الدخيل حتى يمكننا أن
ننفذ ميثاق الضمان الجماعي العربي على أكل وجه .

خاتمة

إن خلق دولة إسرائيل وضع شاذ ، فأحد أمرين :
إما أن يستمر وجودها فيستمر اعتدائها على جاراتها ، ساخرة
بقرارات هيئة الأمم المتحدة ، مطعنة إلى رضا دول الاستعمار ، أملاً في
تنفيذ مشروعاتها الخطيرة وهو إنشاء دولة من القرات إلى النيل .
وهذا خطر داهم يهدد كيانا ، ويجعلنا نعيش دائماً في قلق شديد .
ولما أن يرجع اليهود إلى أوطانهم الأصلية أو يوزعوا على دول
العالم كل دولة بقدر طاقتها ، كما اقترح المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود
على الرئيس الراحل روزفلت عند ما قابله على ظهر الباخرة في مياه مصر .
وهو نفس ما اقترحه بعض الدول أمام هيئة الأمم المتحدة . وهذا هو
الحل الوحيد .
ولا يصح أن يقال إن إسرائيل أمر واقع لا تجوز إزالته ، فإن
إسرائيل وليدة جريمة ونتيجة مؤامرات آثمة ، وكل جريمة هي أمر واقع
لا يجوز إقراره والرضوخ لنتائجها ، فإذا كانت هيئة الأمم المتحدة تبغى حقاً

تففيذ برنامجها والاحتفاظ بكرامتها وأسباب وجودها ، وجب عليها إزالة آثار أى أمر واقع لأية جريمة ، وإلا كان وجود الهيئة هُزواً ولعباً .

* * *

وعلى هذا فالحل الوحيد هو إرجاع اليهود إلى أوطانهم ، أو توزيعهم فى الأقطار المختلفة ، على أن يكونوا مواطنين مخلصين للدول التى تؤويهم وتسببهم جنسيتها ، وأن تنشط الحكومات فوق ذلك لمنع شرور الصهيونية العالمية نشاطا كبيرا ، وبغير هذا لن يكون سلام فوق الأرض .
وها أنا قد بلغت . اللهم فاشهد ...

موضوعات الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة
كيف عامل المسيحيون النبي محمداً وصحبه	٣٨	إهداء الكتاب	٣
كيف عامل اليهود النبي محمداً وصحبه	٤١	مقدمة	٥
أسباب تماسك اليهود	٤٦	فلسطين والضمير الإنساني	١٢
اليهود أمام العالم	٤٩	الخليل إبراهيم	١٥
هل يفكر المسيحيون والمسلمون في إنقاذ أنفسهم	٥٤	خروج اليهود من مصر	١٩
الماسونية اليهودية	٥٦	الاعتداء اليهودي الأول	٢٢
أندية الروتاري	٦٥	على فلسطين	٢٣
قرارات حكماء صهيون	٦٦	حكم داوود وسليمان	٢٧
عود إلى مؤتمر بال	٨٢	الفتح العربي	٢٨
		اليهودية دين عنصري	٣١
		المسيحية دين عالمي	٣٥
		الإسلام دين عالمي	

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٨٥	الحرب العالمية الأولى	١٤٠	مأساة فلسطين
٩٦	وعد بلفور	١٦١	الولايات المتحدة الأمريكية
١٠٠	كيف ظفر اليهود بوعد بلفور		وإسرائيل
		١٨٥	نظرة عامة
١٢٣	بين الحربين العالميتين -	١٩٥	ما هي إسرائيل
	مماهدة فرساي	٢٠٢	كيف نتقي خطر الصهيونية
١٣٢	ظهور هتلر والنازية والحرب العالمية الثانية	٢١٤	خاتمة .

الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	صفحة	سطر
المسكر	السكر	١٥١	١٦
فقد	قد	١٦١	٦

قائمة مطبوعات اللجنة:

فرنس

- ١ — يسألوك الأستاذ عباس محمود العقاد ٢٥
- ٢ — أثر الشرق في الغرب ... : الدكتور فؤاد حسين ... ١٥
- ٣ — قصة السكران والاسلبي : الأستاذ محمد عاطف البرقوقي ٢٥
- ٤ — مشكلاتنا الاجتماعية ... : « محمد عطية الإبراهيمي ٢٠
- ٥ — الحبشة : « حسن محمد جوهري ٢٠
- ٦ — الغزل عند العرب ... : « حسان أبو رباح ... ٢٥
- ٧ — عائشة أم المؤمنين ... : الأنسة زاهية مصطفى قدور ٢٥
- ٨ — الفلسفة القرآنية ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ٣٠
- ٩ — أحاديث الصباح ... : الشيخان محمود شلتوت ومحمد المدي ١٥
- ١٠ — أبطال الشرق ... : الأستاذ محمد عطية الإبراهيمي ١٥
- ١١ — أبو المناهية ... : « محمد أحمد رائق ... ١٥
- ١٢ — الراهبة المتوحشة ... : دكتور عباس إبراهيم حسن ١٠

قرش.

- ١٣ — المهد الذهبي ... : الأستاذ وهبي إسماعيل حتى ١٠
- ١٤ — صرخة في واد ... : الأستاذ محمود غنيم ... ٣٠
- ١٥ — الصحافة والصحف ... : المرحوم الأستاذ عبد الله حسين ٢٥
- ١٦ — ولادة ... : الأستاذ علي عبد العظيم ... ١٥
- ١٧ — اللعب والعمل ... : دكتور علي عبد الواحد وافي ٨
- ١٨ — من كل نبع قطرة ... : الأستاذ حسن محمد جوهر ... ٦
- ١٩ — عبد الله بن قيس الرقيات : الأستاذ علي النجدي ناسف ١٥
- ٢٠ — الاستعمار الفرنسي ... : الأستاذ أحمد رمزي ... ١٥
- ٢١ — الوزراء العباسيون ... : محمد أحمد برانق ... ٢٠
- ٢٢ — سحر المطور ... : أحمد علي الشحات ... ١٢
- ٢٣ — أكسير الحياة ... : الدكتور محمود محمد سلامة ... ٢٠
- ٢٤ — دراسات في علم النفس الأدبي : الأستاذ حامد عبد القادر ... ٣٠
- ٢٥ — التيارات السياسية في حوض
البحر الأبيض المتوسط ... : الأستاذ محمد رفعت أحمد ... ٥٠
- ٢٦ — مسلم ابن الوليد ... : الأستاذ حسين علوان ... ٢٥
- ٢٧ — الإسلام والديموقراطية ... : الأستاذ محمد علي عاوي ... ٥
- ٢٨ — فقه اللغة ... : دكتور علي عبد الواحد وافي ... ٥٠

قرش

- ٢٩ — علم اللغة : دكتور على عبد الواحد وافي ٥٠
- ٣٠ — طب الطبيعة : الأستاذ محمد عاطف البرقوني ٣٠
- ٣١ — أحلام اليقظة : تأليف دكتور ج. ه. جرين ٣٠
ترجمة إبراهيم حافظ
ومراجعة الاستاذ زكي المهندس
- ٣٢ — رفاة الطمطاوى : الأستاذ أحمد أحمد بدوى ٥٠
- ٣٣ — المراجعة : دكتور جورج ه. جرين ١٥
- ٣٤ — فلسفة أبي العلا العري : الأستاذ حامد عبد القادر ٣٠
- ٣٥ — ألحان الغروب : طاهر الطناحى ٣٠
- ٣٦ — أساس العدالة فى القانون الرومانى : دكتور على حافظ ٢٥
- ٣٧ — غرام يزيد : الأستاذ محمود غنيم ١٥
- ٣٨ — فى اللهجات العربية : دكتور إبراهيم أنيس ٤٥
- ٣٩ — أراضينا : دكتور محمود يوسف الشواربى ٥٠
- ٤٠ — تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية : دكتور مصطفى الخشاب ٧٥
- ٤١ — أصول الإلتزامات فى القانون المدنى : دكتور مختار القاضى ٥٠
- ٤٢ — كيمياء المعادن طبعة ثانية : دكتور محمود يوسف الشواربى ١٠



مكتبة
الشيخ
الشيخ

Bibliotheca Alexandrina



0255292

To: www.al-mostafa.com